
الرد على مزاعم صناعة الثورات العربية
تأليف: صابر النفزاوي

الإهداء

إلى الثورة فينا ..

تصدير:

إنّ أكبر مؤامرة تستهدف الثورات العربية هي الحديث عن أنّ مؤامرة تقف وراءها ..

صابر النفزاوي

المقدّمة

بسم الله الرحمان الرحيم

نعم.. إنّه ربيع عربي !!

مازال كثيرون يستنكفون من إطلاق اسم "الربيع العربي"[1]على ذلك الحراك الشعبي الواسع الذي شهدته المنطقة العربية [2010-2011] ،، ويحتجّ هؤلاء المستنكفون غالبا بأحد هذين السببين:

-1-التحركات الشعبية هي نتاج لمؤامرة غربية لزعزعة الاستقرار وإعادة رسم الخارطة الجيوبوليتيكة للعالم العربي مع ما يتخلل ذلك من مكاسب اقتصاديّة ..

-2-فوضى عارمة اجتاحت دول الثورات وصارت الشعوب "تترحّم" على عهود الأنظمة "الساقطة.."

في سياق الردّ على ما تقدّم وبإيجاز يسبق التفصيل نقول :

أولا .. حتى لو كانت الهبات الشعبية نتيجة لمخطط غربي مُغرض (وهو ما لا نراه) فإنّ ذلك لا يبرّر نقض تسمية"الربيع العربي"،، فنحن بكل بساطة إزاء تقاطع مصالح حيث تلتقي الوسائل وتفترق الأهداف والعبرة بالغاية لا بالوسيلة ،، فقد كانت الشعوب تحيا في ظلّ أنظمة شمولية أخذت منها أكثر ممّا تطيق حريةً وكرامةً وحسنَ بقاء .. فكان لزاما عليها أن تتحرّك لتتحرّر حتى لو كان الأعداء المفترضون يأملون في تحقّق مغنمٍ ما من تحرّكهم..

---

[1] - يعتقد أن مارك لانج Mark Lange محلل مجلة "فورين بوليسي" بوليسي FOREIGN Policy هو أول من أطلق توصيف "الربيع العربي" حين تحدث عن "ربيع"محتمل في العالم العربي وذلك يوم 06 جانفي 2011 أي بعد ايام قليلة من اندلاع الثورة التونسية (يوم 17 ديسمبر 2010).

ثانيا.. "الربيع العربي"هو أصلا مصطلح إنشائي ولا علاقة له بالعلميّة ، ولمّا كان ذلك كذلك من الخُلف النظر إلى "الثورات " بمنظار زمني متحرّك والخروج بانطباع سلبي عنها بعد الوقوف على ما آلت إليه ، فالفروع لا تعيب الأصول كما يُقال ،، كما أنّه من جوهر ماهية الثورات ذلك "الشواش" الذي يسم الدولة والمجتمع ، أمّا عن "الاستقرار" الذي شهدته المنطقة مع الديكتاتوريات الآفلة فهو أشبه ما يكون ب"استقرار المقابر" ولا يعبّر عن وجود مجتمع إنساني حيّ..

قصارى القول؛ لا يمكن توصيف ذلك الحراك الشعبي التاريخي إلا بكلّ ما تختزنه لغات البشر من عبارات الإطراء والتمجيد والتعظيم لأنّه "حالة" إنسانيّة متدفّقة نشدت الحرية وتحدّدت نقيضا للظلم وضديدا للاستعباد..

تونس في 29 جانفي 2016

التوطئة

باحثون كثُر ردّوا الثورات العربية إلى "العبقريّة" الأمريكية التي صاغت فصول التحوّل كما يزعمون ، هؤلاء المشكّكون بعفويّة الخروج الشعبي المهيب هم إمّا من أعداء التغيير المسبّحين بحمد الأنظمة "الساقطة" أو المفكّرين المأخوذين بمنطق نظرية المؤامرة أو "المدخليين" ومن لفّ لفّهم من السلفيين "المحافظين" ، دون أن نذهل عن قلّة قليلة حاولت الإغارة على التفاصيل وتقديم طرح موضوعيّ متماسك ،، هؤلاء وأولئك هم سبب تأليفنا لهذا الكتاب ..

ما يجب أن نقوله ابتداءً هو أنّ القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة لا تعوّل على "الحدث"بحدّ ذاته لإعادة رسم الخارطة الجيوبوليتيكيّة للمنطقة العربية بل هي تعوّل أساسا على "ردّ الفعل"تجاه ذلك الحدث"الذي تتدخّل فيه العوامل الشخصيّة للحكام العرب،لإدراكها أنّ القرار السياسي العربي هو قرار "فردي-مزاجيّ" وفي أفضل الأحوال هو قرار "عائلي-قبلي"[2] ،بما يعني أنّ "الثورات" نفسها هي أحداث "محايدة" ولا تشكّل في ذاتها العمود الفقري لمخطّطات الغرب ، ولا يبرز الدور الغربي إلا من خلال المساعي الهادفة إلى توجيه بوصلة الواقعة الثورية وضبط إيقاعها بما يخدم الرؤية الشرق أوسطية الجديدة إذا لم ينجحوا في وأدها من البداية كما حاولت أن تفعل فرنسا ساركوزي مع "الثورة" التونسية عندما عرضت وزيرة خارجيته "ميشيل أليو ماري"مساعدة "أمنيّة"على بن علي ..

---

[2] - يمكن العودة لكتاب"لعبة الأمم"مايلز كوبلاند" للاقتراب من منطق التعاطي الأمريكي مع "الكونتونات" العربية.

دأب الكثيرون على الحديث عن نزوع أمريكي إلى "تدمير" الجيوش العربيّة بطريقة ممنهجة تبدأ بزعزعة الاستقرار في المنطقة، رغم أنّ الوقائع أثبتت - في ما بعد- أنّ أكبر الجيوش المعنيّة - في كلٍّ من مصر وسوريا- بعيدة كلّ البعد عن همّ المقاومة وتصطفّ اصطفافا نهائيا في صفّ الأنظمة العميلة على حساب شعوبها ، واستحضار المثال العراقي للتدليل على المؤامرة الغربية التي تستهدف الجيوش العربية ليس في طريقه لأنّ العقيدة العسكرية التي رسّخها صدّام حسين قتالية بامتياز ومنخرطة بشكل واضح في المشروع الوطني السياديّ ومشاركة مئات العناصر الشيعيّة في حرب الخليج الأولى ضدّ إيران من أوضح الأدلة على الطبيعة الخاصة لذلك الجيش الذي تمّ حلّه بنوايا مبيّتة غداة غزو العراق عام 2003 ، أمّا الجيش المصري على سبيل المثال فقد اختزل "عقيدته" الجغرافي والمفكّر الراحل جمال حمدان بتكثيف بليغ:

" العسكر هم يريدون الحكم ولا يريدون الحرب يريدون أن يحكموا لا يريدون ان يدافعوا عن الحدود، الوظيفه الحقيقية لهم هي الحكم، الوظيفه الديباجيّة الإعلامية هي حراسه الحدود إن هؤلاء مع الخارج يتبنون الحل السلمي ولكن مع الداخل يتبنون الدم ويقتلون السجد الركع وظيفتهم هو الحكم وليس الحرب"!! ..

فتدجين الجيوش العربية الكبرى أسهل وأقلّ كُلفة من محاولة إضعافها خاصة في ظل التهديدات الأمنيّة المتفاقمة ومزالق الوقوع في فخّ"الدولة الفاشلة"وهو ما تُدركه معظم دوائر صنع القرار الأمريكي رغم تعالي بعض الأصوات الأكاديمية والبحثيّة الداعية إلى هزّ أركان المؤسسات العسكرية في الوطن العربيّ ، و الإدارات الأمريكية المتعاقبة مافتئت في تقارير الأمن القومي التي تنشرها دوْريا (كل أربع سنوات) تدور في فلك فكرة مفتاحيّة مفادها تحقيق "الاستقرار" ولئن كنا نعلم أنّ هذا"الاستقرار" هو كلمة كوديّة لها دلالة خاصة في العقل الاستراتيجي الأمريكيّ إلأ أنّ ما نعلمه أيضا هو أنّ المصطلح له نصيب من مفهومه ، أي إنّ المطلوب دائما هو تجنّب "الانفلات الكامل" والبحث عن "التطويع"بدلا من "التدمير" وهذا هو مفهوم "الفوضى الخلاقة" أو"الشواش الخلاّق Chaos"الذي تنظّر له وتنتظم تحته معظم"صوامع التفكير الاستراتيجي" الأمريكية (Think Tanks) ..

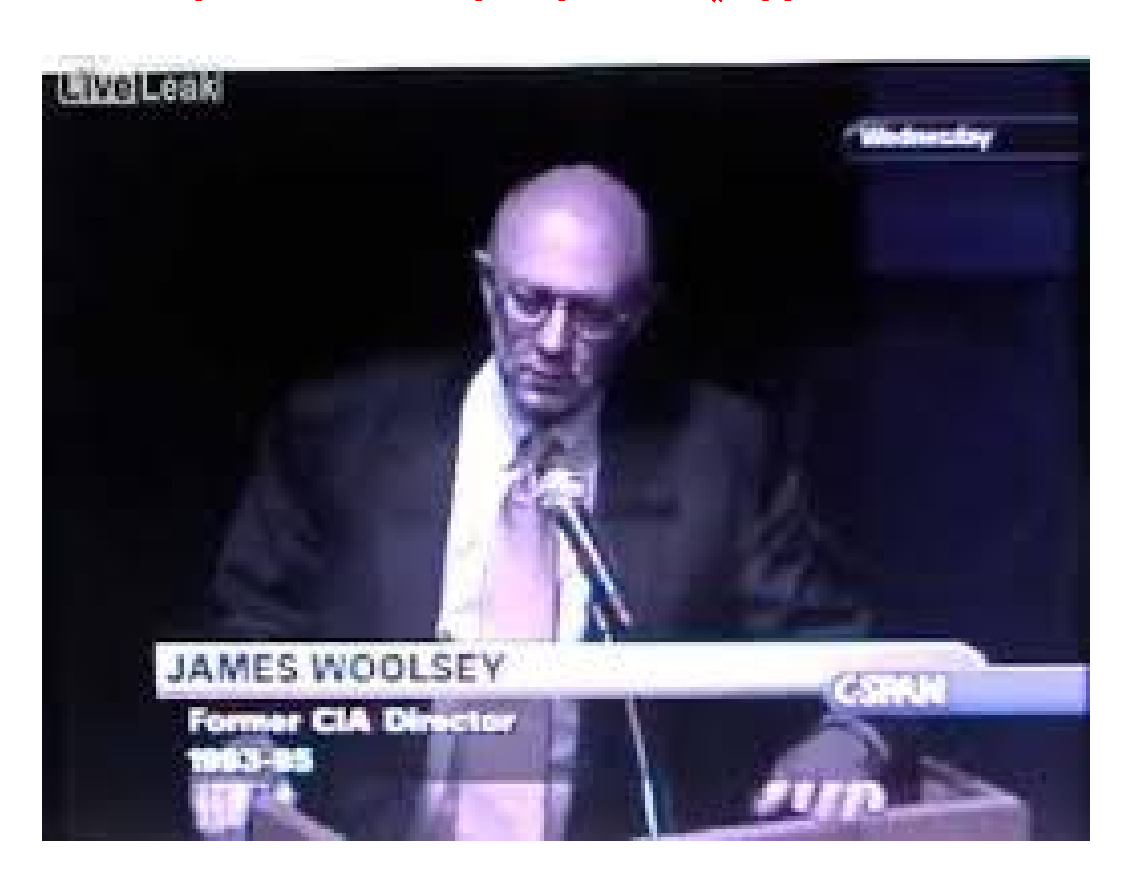
قبل محاولة تفكيك موضوعنا المعقّد نحن مدعوّون إلى إشباع حاجة منهجيّة تتمثّل في طرح سؤال الماهية :

ما "الثورة"؟[3]..!!

غنيّ عن البيان أنّ الثورة لغةً من الغضب والهيجان والفوران والثائر في "لسان العرب" هو الغضبان، أما اصطلاحا فنقترح التعريف التالي:"الثورة هي حراك احتجاجيّ جماعيّ يرمي إلى استبدال منظومة حكم مأمولة بالمنظومة الماثلة بهدف إحداث تغيير عميق يحقّق المنشود السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي ويصنع في لحظة(ما) وضعا فرديا وعلائقيا جديدا"، فالواقعة الثورية هي في النهاية "قطع ما" وأهميّة "الثورة" أيّ ثورة تاريخيا تتزايد أو تتناقص طرديا مع درجة هذا القطع مع الماضي و"القطع" هنا مزدوج الدلالة يُحمَل على معناه القريب وعلى معنى "الحسم الثوري"..

[3] - كنا تعرضنا إلى المعنى الاصطلاحي للثورة بإسهاب وتفصيل في كتابنا :"السقوط الحر للثورة المصرية"ص 16،15،14 –منشورات كارم الشريف (الطبعة الأولى 2015).

خطاب وولسي الشهير أيقونة أعداء التغيير



"وولسي" يُلقي خطابه الشهير

يستشهد كثيرون بخطاب ألقاه مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية الأسبق C.I.A "جيمس وولسي" في العراق عام 2006 :" قال وولسي في كلمته تلك ما يلي: "إذا نجحنا في إقناع المسلمين في العالم الّذين هم تحت العبودية كما هو ظاهر في كثير من الدول إننا نحن إلى جانبهم سوف تسهل في النهاية كما فعلنا ونجحنا في الحرب العالمية الأولى والثانية طالما نفعل هذا ، وسوف أختم بهذا :سوف نجعلهم متوترين ، سوف نجعل العائلة السعودية الملكية متوترة ، سوف نجعل نظام مبارك متوتراً ، وإذا نجحنا في تحرير العراق وبدأنا التفرغ إلى سوريا وليبيا والدول الأخرى ونضغط عليهم لمحاولة تغييرهم سيأتينا آل سعود ومبارك ويقولون : نحن متوترون جداً جداً ، وجوابنا يجب أن يكون : هذا جيد ، نحن نريدكم أن تكونوا متوترين ، نحن نريدكم أن تعرفوا أنّه الآن وللمرة الرابعة خلال المئة سنة الماضية أن هذه الدولة (الولايات المتحدة) وحلفاءها قادمون للزّحف وسوف ننتصر لأننا إلى جانب هؤلاء الّذين يخاف منهم الحكام العرب "شعوبهم..!! "

ما تقدّم من "إعلان نوايا" تلقّفه المتلقّفون بلهفة منقطعة النظير ، فقد بدا الأمر هديّة من السماء لأعداء التغيير في المنطقة العربية ، لكنّ هؤلاء تعاملوا مع القشرة وغفلوا عمّا وراءها فما غاب عنهم أنّ هناك أسلوبا استخباريا كلاسيكيا يقوم على "ضرب الحدث قبل وقوعه"، الأمريكيون توقّعوا – مثلما توقّع غيرهم – حراكا شعبيا واسعا في المنطقة فزعموا مسبقا أنّهم هم من سيخططون لهبّات الشعوب ، وهو تعاط استباقي- وقائي ذكيّ يجعل موجة الثورات [فيما لو وقعت بالفعل] مشكوكا بعفويتها ونقائها، وهو ما سيسهّل لاحقا القضاء عليها وقطع الطريق على محاولات مأسسة الديمقراطية في "الكانتونات" العربية ، وليس أدلّ على ذلك من "علنيّة" كلام ويلسي بسفوره الوقح ووقاحته السافرة إذ تمّ بثّه تلفزيا فيما لم يتكرّر متن الخطاب المثير للجدل بذلك الوضوح على لسان مسؤولين أمريكيين آخرين ما يجعل الخطاب "شبه رسمي" وهذا الطابع شبه الرسمي يعبّد الطريق لاستعادته -لاحقا- (في صورة حصول مدّ ثوريّ) للتشكيك وإعمال منطق نظرية المؤامرة بما يسمح بالتحكم في نتائج التحركات الشعبية (المرتقبة) ومُخرجاتها.. يكفي أن نرى غرابة الإعلان الصريح عن الوسائل والأهداف الاستراتيجية حتى نقتنع بما سبق بيانه، فاندلاع هبّات تحررية لم يكن كما قد يتبادر إلى أذهان البعض أمرا عجائبيًّا بعيدا عن التصوّر أو المخيال الغربي أو حتى العربي فقد كان عالم المستقبليات المغربي "مهدي المنجرة"[4] من بين من تنبّؤوا بتحوّل طارئ تصنعه الشعوب[5] ولم يكتف بذلك بل دعا "الانتلجنسيا"[6] إلى الالتحام بالجماهير والمشاركة في ملحمة التغيير وكأنّه نظر بلحْظ الغيب إلى غيبة المثقّف وتخلّفه عن ركْب التحوّل، كتب المنجرة يقول : " (...) ما يهمنا من كل هذا هو أن المثقف مطالب اليوم باستعادة دوره المفقود وقيادة مرحلة التغيير التي ستكون إحدى علامات تاريخ مجتمعاتنا العربية

---

[4] – مفكر مغربي (ت 2014) وعلم من أعلام علم المستقبليات (أو الاستشراف) عرف بمناهضته للعولمة ونوازع الهيمنة الأمريكية ، وهو أحد الكتاب القلائل الذين رأوا ثورات الشعوب العربية قبل سنوات من وقوعها ولامسوا بعضا من تفاصيلها ..

[5] – نحيل على كتابيه "إهانة في عهد الميغا إمبريالية" و "قيمة القيم".

[6] – الانتلجنسيا أي النخبة المثقفة.

في العقود الأولى للقرن الحادي والعشرين" !! [7] ،كما نحيل على الكاتب السعودي عدنان حسن باحارث الذي توقّع بشكل لافت اندلاع ثورات في العالم العربي (قريبا) وذلك قبل أيام من انقداح شرارتها فعليا وذلك في كتابه": الصادر عام 2012 الثورة الفرنسية: عرض ونقد في ضوء التربية الإسلامية"[8].

ثمّ من يصدّق أنّ الأنظمة العميلة في الخليج ومصر باتت برسم الاستهداف الأمريكي ، خاصة في ظلّ تراجع عدد الأنظمة العميلة لواشنطن الذي بدأ من حديقتها الخلفية..

نقطة أخرى نراها مفصليّة وخليقة بالنظر وهي حقيقة تفاجؤ الولايات المتحدة بموجة الثورات العربية ، لاشكّ أنّ الدوائر الاستخباريّة مراكز الأبحاث الأمريكية قد توقّعت تغييرا(ما) في الشرق الأوسط تحت ضغط الشعوب لكنّ التوقيت وتسارع الأحداث ودرجة التحوّل ومكان اندلاع الشرارة الأولى في تونس كلها عوامل شكّلت عنصر المفاجأة وجعلت من الحدث الثوري "بطة سوداء"[9] أجبرت واشنطن في النهاية على الاصطفاف في صف الشعوب والتخلي بالتالي عن أبرز أدواتها في المنطقة (بن علي ومبارك)، وربما لاحظتم أنّ "ويلسي"لم يذكر تونس (مهد"الربيع العربي") في قائمة الدول التي سيطالها التغيير..

---

[7] – مقتطف من مقاله " المجتمعات العربية: اختلالات الراهن وسيناريوهات المستقبل" منشور بمجلة :"الآداب البيروتية" بتاريخ 15 ديسمبر 1999 .

[8] – باحارث فرغ من تأليف دراسته المتعلقة بتراكم أسباب التغيير وقرب اندلاع ثورات شعبية كاسحة قبل أيام قليلة (نحو شهرين) من انقداح شرارة الثورة التونسية .

[9] – نظرية البجعة السوداء أو Black Swan تستند إلى فكرة ضرورة اندلاع أحداث كبرى لا يمكن التنبؤ بها ولا يمكن أمامها إلا تحمل تبعاتها ، جاء الاصطلاح (البجعة السوداء) من عنوان كتاب لمفكر الأمريكي من اصل لبناني يدعى :"نسيم طالب"استوحى فكرة كتابه الشهير من اعتقاد أوروبي شائع في أن جميع البجع أبيض إلى أن فوجئوا بوجود بجع أسود عند اكتشاف أستراليا ..

إشعال الحروب في الشرق الأوسط :دوافع اقتصاديّة ؟؟؟

غنيّ عن البيان أنّ الاقتصاد هو المحرّك الأبرز للحروب وعندما يتعلّق الأمر بدولة قائمة على فلسفة براغماتية نفعية كالولايات المتحدة الأمريكيّة تتأكّد صوابيّة هذه القاعدة وتتعزّز،في الماضي كانت الدول الاستعمارية تحتاج إلى فتح أسواق جديدة والاستئثار بالمواد الأولية لضمان استمرار دوران عجلتها الصناعية أما اليوم في زمن الثروات الجديدة وفي عصر العولمة "المؤمركة"-بكسر الراء وفتحها- أصبحت همّة الأمريكان متعلقة بالطاقة نفطا وغازا (وأشياء أخرى) علاوة على الاستفادة من عمليات إعادة الإعمار من خلال إبرام العقود لكبرى شركاتها وتهديد سيادة الدول عبر توزيع القروض ذات الفوائد العالية للدول المستهدفة في لحظة تاريخية تتّسم بالارتباك الاقتصادي والتراجع المالي في مقابل صعود لافت للتنين الأصفر..ومن المعلوم من السياسة بالضرورة أنّ السياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخليّة ولاسيما إذا تعلّق الأمر بالقوى الكبرى.. لاشكّ أنّ جسد الإمبراطورية يحتاج إلى دماء لكي يعيش،،لكن هل يسوّغ لنا ما تقدّم الحديث عن تعمّد واشنطن إشعال فتيل الحروب في الشرق الأوسط عبر صناعة الثورات العربية لتحقيق أرباح اقتصاديّة ؟ !!،، علينا أن نقرّ ابتداءً بحقيقة تدهور الوضع الاقتصاديّ في الولايات المتحدة قُبيْل انقداح شرارة الثورة التونسية وفي ما يلي بعض الأرقام التي تؤكّد ذلك:

- في عام 2010 بلغ عجز الميزانيّة الأمريكية 1,342 تريليون دولار [مكتب الميزانية بالكونجرس].
- قفز عجز الميزان التجاري الأمريكي بنسبة 8.8% بين شهري جويلية و أوت 2010[وزارة التجارة الخارجية الأمريكية]
- تجاوزت الديون الأمريكيّة العامة 13 تريليون دولار في 2010 [وزارة الخزانة الأمريكية].



نعرف جميعا أنّ مغانم الحرب المأمول تحقيقها من خلال إثارة البلبلة في الشرق الأوسط تتوزّع على صعد ثلاثة:

النفط[10]: الاستفادة (المفترضة) من النفط تكون على وجهين : الاستئثار المباشر على آبار النفط مثل العراق وفسح المجال أمام الغاز الصخري الأمريكي عبر خفض الإنتاج العالمي للبترول بما يرفّع في سعره ..

السلاح: من الطبيعيّ أن تستفيد الدول المصنّعة للأسلحة وشركات السلاح العالمية من تعميم حالة الحرب لتزدهر تجارتها ،و رأينا كيف أنّ أضخم صفقات الأسلحة قد أُبرمت مع دول الخليج العربي وتأتي قطر والسعودية والإمارات والعراق على رأس قائمة دول الشرق الأوسط المستوردة للسلاح الأمريكي ، فالدوحة التي تصدّرت القائمة عام 2014 عقدت صفقة قيمتها 11 مليار دولار فى شهر جويلية 2014 استوردت بموجبها 10 بطاريات صواريخ باتريوت من الإنتاج الأمريكى إضافة إلى 24 مروحية مقاتلة من طراز أباتشى و500 قذيفة مضادة للدبابات طراز "جافلين"، وشكّلت "عاصفة الحزم" مناسبة مثالية

---

[10] - تجدر الإشارة إلى فقدان "النفط"للكثير من قيمته الاعتبارية (السياسية) نظرا لحيازة الولايات المتحدة على احتياطي ضخم من الذهب الأسودفضلا عن اللجوء إلى الوقود الصخري حيث ارتفع إنتاج الولايات المتحدة إلى 5 مليون برميل يوميا تزامنا مع ارتفاع أسعار النفط .

لبيع الأسلحة ، وأحيلكم هنا على ما قاله نائب وزير الخارجية الأمريكي "أنتوني بلينكين"[يوم 07 أفريل 2015] عندما أشار من الرياض إلى أنّ بلاده [سارعت] إلى تقديم إمدادات عسكرية لدول التحالف الذي تقوده السعودية ضد الحوثيين في اليمن ،، كل ذلك تحت عنوانيْن كبيرين يسمان الراهن السياسي :تنظيم الدولة الإسلامية وإيران، والإطار الأكبر لهذه الصفقات هو "الفوضى" ..

لكنّ ذلك لا يحسم الموضوع بدليل الملاحظات التالية :

- دولة واحدة من دول الثورات كانت نفطية وهي ليبيا ،كما أنّ تونس مُطلقة شرارة الثورات ليست بلدا نفطيا .

- الولايات المتحدة لم تكن تحتاج إلى حرب في ليبيا للاستفادة من نفطها ففي أكتوبر 2010 أي قبل 4 أشهر فقط من اندلاع شرارة الثورة الليبية وعلى مسافة شهرين فقط من انقداح الحراك الثوري في تونس وقّعت ليبيا القذافي عقود تنقيب واستغلال مع عدد من الشركات العالمية الكبرى من بينها شركة إكسون موبيل الأمريكية الضخمة ..

- عندما سأل المندوب السامي لجامعة الدول العربية لدى منظمة الأمم المتحدة وزيرَ الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر :"لماذا لا تنشرون الديمقراطية في العالم العربي؟!!" ردّ ساخرا :"لسنا أغبياء حت نفعل ذلك، ما الذي يجعلنا نفعل ذلك ونحن قادرون على تنصيب الحكام العرب عبر الانقلابات العسكرية ليسيطروا على شعوبهم ويأتمرون بأوامرنا ، لماذا ننشر الديمقراطية في البلدان العربية الغنيّة بالنفط؟ [11]!!..

- لو كانت الولايات المتحدة تريد حقا بثّ الفوضى لما وقفت إلى جانب الشعوب بعد اشتداد وطأة الاحتجاجات ولكانت ساندت الجيوش ودفعتها إلى المواجهة الشاملة وهو ما لم يكن في أيٍّ من الدول العربية التي شهدت انتفاضات ..

[11] - كتاب : "مشروع الشرق الأوسط الكبير..الحقائق والأهداف والتداعيات"عبد القادر رزيق المخادمي- ص 17-.

نظريات التفوّق ؟؟؟

ينطلق البعض من بعض النظريات الغربية التي استلهم العقل السياسي الأمريكي من روحها ليُغذّي فكرة "التفوّق" المترسّخة في العقل الجمعي للأمريكيين وذلك للتدليل على أنّ الثورات العربية كانت بالفعل صنيعة واشنطن التي دأبت على نشر الموت والدمار بين الشعوب الأخرى لتبقى الولايات المتحدة القوة الوحيدة في العالم ..

نستعرض في السطور اللاحقة أهمّ نظريات الاستئصال الغربيّة لنعود على علاقتها المزعومة بالانتفاضات العربية بالنقد في مستوى لاحق من هذا القسم:

المالتوسيّة:

تعود هذه النظرية إلى توماس مالتوس الذي زعم أنّ العالم سيتّجه لامحالة إلى مجاعة شاملة إذا لم يجْر تدخّل (ما) لإيقاف "نزيف" الولادات والحدّ من التكاثر السكاني باعتبار التناقص المتزايد للإنتاج الزراعي العالمي وشُحّ الموارد على الأرض.

الداروينيّة:

تقوم هذه النظرية على ثنائية الأعراق المتحضّرة والأعراق الهمجية والاستنتاج الطبيعي الذي انتهت إليه هذه المقاربة هو ضرورة القضاء على "القوم الهمّج" لتبقى الأرض بيد "المتحضّرين"الذين سيُبدعون في تحسين جودة الحياة على الأرض.

هذه النظريات وغيرها تعضدها أفكار مفكّرين كثر ساهموا في رسم ملامح "الاستعلاء"الغربي على غرار الفيلسوف الألماني فريديريك نيتشه و المؤرخ الأمريكي ريشارد هوفستاتر وهربرت سبنسر ،تدور مقاربات هؤلاء وغيرهم على فكرة التخلّص من الضعفاء والفقراء و"قليلي الحيلة" في امتداد متطرّف للعنصريّة الاستعماريّة التي سوّق لها الاستشراق والتصقت بالسياسة الخارجية الأمريكية إلى حدّ قتل آلاف البشر بقنبلتين نوويّتيْن لمجرّد التجربة ، وإلى درجة إقدام "هنري كيسنجر"على إعداد خطّة لم تُعرف تفاصيلها تتضمّن تقليص عدد سكان العالم عبر إثارة النزاعات والقيام بأعمال إبادة جماعية وتصفية منظّمة.

لاشكّ أنّ ما تقدّم من طروح إقصائيّة قد ألهم الفكر السياسي الأمريكي إلا أنّ هجرة البروتستانت من بريطانيا إلى العالم الجديد في القرن السابع عشر شكّلت بحدّ ذاتها تجربة مثيرة أسّست لهذا الشعور العميق بالتفوّق ، فقد كان المهاجرون الأوائل يشقّون عُباب المحيط الأطلسي قاصدين بلاد الهنود الحمر حاملين في صدورهم مذهبا جديدا ("التطهّرية") تعرّضوا بسببه إلى القمع الكنَسيّ ، جاء القادمون من وراء البحار مدفوعين بنوازع التبشير من تلك الأرض الجديدة وككل حامل دعوة رأى السكان الجدد في أنفسهم من مبعوثي العناية الإلاهية إلى الإنسانية جمعاء ،بما حوّل " الدين في أمريكا تدريجيا ليصبح خادما للإنسان الأمريكي والمشروع الأمريكي،وكما يقول هارولد بلوم في كتابه"الدين الأمريكي"فإنّ المسيحيّة الأمريكية تجربة نفعية براغماتيّة أمريكية ،وإنّ يسوع الأمريكي أقرب لما هو أمريكي مما هو مسيحيّ"[12] .

وعلى أشلاء الهنود الحمر أقام هؤلاء البيض دولتهم واستمرّ خيط الأفكار العنصرية في التمدّد والتدفّق و"الامتلاء" حتى تبلور في شكل نسق فكري مغلق عبّر عن نفسه بوضوح من خلال فكرة "نهاية التاريخ"، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أعلنها " جون أوسليفان " مدوّيةً: " إنّ الرب قد قدّر للشعب الأمريكي المختار أن يقود العالم إلى نهاية التاريخ " !،،ليأتيَ المفكّر فرانسيس فوكوياما في ثمانينيات القرن العشرين ليشتغل من جديد على فكرة النهاية.

واليوم قطاع واسع من أولئك الذين يستندون إلى منطق نظرية المؤامرة لمجابهة حقيقة عفويّة الحراك الثوري العربي يعتدّ بالنظريات المكرّسة لفكرة المرجعية الأمريكية النهائية ، أبرز هذه المقاربات على الإطلاق نظرية "نهاية التاريخ وخاتم البشر" لفوكوياما ،، في السطور اللاحقة لنا وقفة نقديّة مع الطرح الفوكويامي:

"نهاية التاريخ والإنسان الأخير"[13].. "حفل الأناءات" وزخم الما-بعديّات"[14]!! :

---

[12] -باسم خفاجي من كتاب:الشخصية الأمريكية "ص29 .

[13] -نهاية التاريخ والإنسان الأخير" هي نظرية للمفكر الأمريكي من أصول يابانية "فرانسيس فوكوياما"الذي نشر مقالا في مجلة -the national interest-عام 1989 بعنوان "نهاية التاريخ والإنسان الاخير" قبل ان يحوله إلى كتاب عام 1992،وما عناه فوكوياما بالتاريخ ليس ذلك الحيز الزمني بما يستوعبه من أحداث ووقائع وإنجازات واكتشافات بل أراد الإشارة إلى التاريخ بما هو فضاء لتموضع الأفكار الكبرى وتطورها الفلسفي الديالكتيكي ،وبالتالي يكون المقصود بالإصداع بالقول:انتهى التاريخ ...،هو إعلان نهاية الإيديولوجيات وإقرارا بأن

لئن بدت نظرية "الإنسان الأخير"أو "خاتم البشر -LAST MAN-"لأول وهلة متناقضة مع العقل الغربي القائم على الشك والنقد المستمر وعلى ال"مابعديات"إلا انّها في حقيقتها تشكّل إعادة إنتاج للهيغليّة[15] بل استعادة [ما] للجمهورية الافلاطونية و"مدينة الله" الأوغسطينيّة وهي في جوهرها عقلانية متطرّفة او فلنقل "عقلانية عنصريّة"تتجاوز الغرب بالغرب إن صح التعبير فهي إعلان عن نهاية هذا العقل وبداية عقل غربي "آخر" يفترض واهما انّ منتجاته هي تتويج للفعل الإنساني عبر التاريخ ما يعني ان مفكرنا الاستراتيجي الأمريكي وأستاذ الاقتصاد السياسي "فرانسيس فوكوياما"لم يفعل في النهاية سوى إطلاق "مابعديّة"جديدة فلنسمها "مابعد العقلانية الغربية"رغم يقيننا انّ اصطلاح "المابعد"نفسه هو صنيعة الاستعلاء الغربي المتعفّف والمترفّع عن إعلان النهايات ،، وبهذا المعنى تبدو أطروحة فوكوياما احتفاء صريحا بإفراز حضاري غربي[16] ومرْكزةً له في مقابل مناهج ونماذج أخرى ،ففرانسيس المعروف بقربه من المحافظين الجدد تحدّث صراحةً عن عالم "تاريخي" أو "أنظمة متخلّفة"يجب إزالتها لتقام على أنقاضها الديمقراطية بشكلها الغربي ،وقصد بالأنظمة "المتخلّفة"تلك الأنظمة القبلية والدينيّة ،، بل إنّنا لن نتاجر بشرف الحقيقة إذا قلنا إنّنا إزاء تعبيرة (متقدّمة) للمركزية الغربية التي لا تتوانى عن الإعلان المدوّي عن كسب الغرب معركةَ الحضارة..

والحقيقة أنّ عرش الطرح الفوكويامي لم يهتزّ بفعل الأحداث والوقائع التي عرفها العالم بل إننا إزاء مقاربة مشوبة في أساسها بالاعتلال رغم أنّها -أو لأنّها- مُغرقة في العقلانيّة التي هي أحد إفرازات النرجسية أو الرؤية المركزية الثقافية الغربية ،دون ان ننسى نوازع الهيمنة الامريكية

الإنسان الأخير سيعيش في كنف الديمقراطية الليبرالية إلى الابد لأنها التعبير النهائي والتأليفي لتراكمات الفكر الإنساني..هذه رؤيتنا التعريفية نعرضها باقتضاب وننصح من يهمه الامر بالعودة إلى كتاب "نهاية التاريخ وخاتم البشر"للاقتراب أكثر من المقاربة الفوكويامية"التي تتحدد نقيضا للاطروحة الماركسية في نهاية التاريخ، بطبيعة الحال يبدو أمر هذه التظرية محسوما سلفا إذا نظرنا إليها بمنظار عقدي-ديني باعتبار أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قطع قول كل خطيب كما يقال بقوله:"(...)ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ."

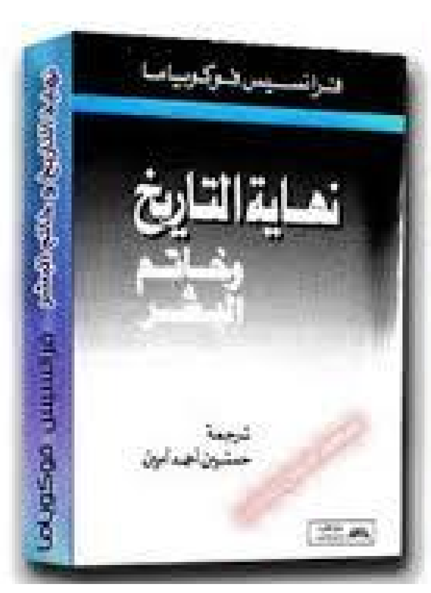
[14] - حفل الأناءات":عنوان كتاب للمحلل النفسي الفرنسي "لوران شميت.."

[15] - الفيلسوف الألماني "هيغل"بشر بنهاية "تاريخ الاضطهاد الإنساني"فور استقرار نموذج السوق الحرة وانتشاره.

[16] - تجدرالإشارة في هذا السياق إلى أن هناك من ينظر شزرا إلى عبارة "الحضارة الغربية (أو الأوروبية)"ويستعيض عنها بعبارة:"الحضارة الإنسانية" بما أن المنجز الحضاري الغربي هو في حقيقته تتويج (ما) للسيرورة التاريخية الإنسانية ككل،، ورغم أن البراديغم الديمقراطي قد استفاد من التلاقح الفكري بين الشرق والغرب إلا أنه لم يظهر ولم يتطور إلا في أوروبا ،لذلك "غامرنا"بالحديث عن الديمقراطية ك"إفراز حضاري غربي[...]"

تأصيلا عمليا لفكرة"الولايات المتحدة مدينة على التل -CITY ON THE HILL-" المترسّخة في العقل الجمعيّ الأمريكيّ بما يجعلها الدولة الأم التي يحتاج إليها الجميع،وحتّى مع المراجعات الأخيرة التي قام بها الكاتب في اتّجاه الإقرار بالأفول الوشيك للسيطرة الأمريكية والذهاب نحو عالم متعدّد الأقطاب بقيَ النموذج الغربي للحكم (الديمقراطيّة) أرقى و"أعلى"ما يمكن أن ينشده الإنسان ما بقيَ على وجه الأرض !..

وغنيّ عن البيان انّ بنيان "فوكوياما" قد تصدّع بشكل خاص بعد ما شهدته المنطقة العربية من ثورات وما رافقها من صعود مثير للإسلاميين ،وهذا فيما نزعم أكبر هزّة عرفتها نظرية فوكوياما ،ولئن كنا لا ننكر أنّ صعود اليسار في أمريكا اللاتينية وتعاظم العمل الحركي الإسلامي "الأصولي"في منطقة الشرق الأوسط تُعدّ المستجدات التاريخية الابرز التي دفعت "فرانسيس"نفسه إلى مراجعة مكتسباته المعرفية وإعادة النظر في مرتكزاته النظرية التي بناها منذ أكثر من 22عاما في كتاب فُهم منه تراجعه عن نظريته حمل عنوان :"بداية التاريخ ..منذ أصول السياسة إلى الآن"عام 2012 قبل أن يعود إلينا الكاتب نفسه عام 2014 ليشدّد على تمسّكه بفكرته الكبرى في كتابه:«النظام السياسي والاضمحلال السياسي: من الثوره الفرنسيه الي الوقت الحاضر»عندما أشار إلى أنّ موجة الثورات العربية هي إحدى تعبيرات الزحف الشعبي نحو الديمقراطية.





فرانسيس فوكوياما صاحب نظرية "نهاية التاريخ"

لقد وفّر فوكوياما بنظرية "نهاية التاريخ"غطاء علميا أكاديميا يشرعن النزوع الإمبريالي الأمريكي ويعزّز ذلك الخطاب الرسالي المهيمن على خطاب الساسة الأمريكيين الذين يستعيدون في كل مرة وبأشكال مختلفة مقولة:"أميركا والآخرون"،فقد بدت الأطروحة الفوكويامية هدية من السماء تلقّفها بقية المحافظين الجدد (أو الشتراوسيين الجدد) بلهفة منقطعة النظير لوضع "براديغمات" سياسيّة عدائيّة تصبّ في مجرى فكرة أخرى لا تقل إقصائية وهي فكرة "صراع الحضارات"الهنتنغتونيّة التي تغذّيها فكرة "نشر الديمقراطية".

نظريات "الفوضى"؟؟؟

يستنجد المشكّكون بعفوية الحراك الشعبي العربي بنظريات التقسيم الأمريكيّة المتعلّقة بمنطقة الشرق الأوسط التي تشمل استراتيجيًّا خارطة العالم العربي زائد تركيا وإيران والكيان الصهيوني وهناك من يضيف كلا من باكستان وأفغانستان استنادا إلى مشروع "الدمقرطة" الذي سوّقت له إدارة "جورج بوش الابن"في إطار المشروع الشرق الأوسطيّ الكبير ..

مشروع الشرق الأوسط الكبير :

أثناء العدوان الصهيوني على لبنان عام 2006 قالت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس "إنّ ولادة الشرق الأوسط الجديد ستكون على أيدي هذه الحرب ! " ، أوّل استنتاج يُفترض به أن يقفز إلى الأذهان هو أنّ مصطلح الشرق الأوسط المقصود هو ذلك الفضاء الجغراسياسي (الضيق) المحيط بإسرائيل وعليه يبدو إدراج دول أخرى كباكستان وأفغانستان في المجال الشرق الأوسطيّ هو من باب التزيّد أو التمويه السياسي، فأمن الكيان الصهيوني وتأمين تدفّق النفط يشكّلان نقطتيْ ارتكاز مشروع الشرق الأوسط الكبير أو الجديد كما تراه واشنطن ،وإلّا ف" لماذا تسويق المشروع الأمريكي إلى دول الشرق الأوسط بالذات؟لماذا لم تكن دول إفريقيا مثلا وهي الأكثر فقرا وتخلّفا؟ لماذا لم يسوّق المشروع الأمريكي إلى دول أمريكا اللاتينية وهي تتقاسم في كثير من الأمور مع دول الشرق الأوسط؟هل يريد الأمريكيون لمنطقتنا الإصلاح ؟(...)"[17].

يتمثّل هذا المشروع في إعادة تشكيل تلك الرقعة الجغراسياسية التي سمّاها "تاير ماهان"منذ عام 1902 ب"الشرق الأوسط"بهدف بناء واقع علائقي جديد يناسب مرحلة ما بعد الحرب الباردة ،ولا يمكن الاقتراب من هذه المقاربة الاستراتيجية التي تتبنّاها الولايات المتحدة دون المرور ولو سريعا على مقاربتين اثنتين :

---

[17] – عبد القادر رزيق المخادميفي كتاب:مشروع الشرق الأوسط الكبير الحقائق والأهداف والتداعيات".

مشروع برنارد لويس:

عام 1980 أُوكلت للمفكّر الصهيوني برنارد لويس[18] مهمّة وضع مخطّط تقسيمي يتعلّق بالعالم الإسلاميّ وبمعيّة خبراء استراتيجيين تمّ تنفيذ هذا الطلب المباشر من وزارة الدفاع الأمريكيّة ، ليتبنّى الكونغرس بعد ذلك مقترح التقسيم ليتحوّل رسميا إلى مشروع للإنجاز ، واللافت للنظر أنّ المخطّط المثير للجدل أماطت عنه اللثام مجلة "البنتاغون" ذاتها !..

أبرز ما يمكن استنتاجه في الخارطة أو الخرائط المقترحة هو التعويل الفجّ على البعد الطائفيّ كعامل تفكيك للمكوّنات الاجتماعية والهوويّة في الدول المستهدفة بالتقسيم :

شمال إفريقيا:

دويلات للأمازيغ والبربر والنوبة والبوليساريو والأمازيغ والمغرب والجزائر وتونس .

مصر:

دويلات للسنّة والأقباط (النصارى) وبدو سيناء والنوبة ودولة للفلسطينين في شمال سيناء مضافا إليها قطاع غزّة.

منطقة الخليج:

3 دول فقط ؛ دولة شيعية تضم الكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين
دولتان سنيتان في كلّ من نجد والحجاز.
إنهاء الوجود القانوني لكل من قطر والكويت والبحرين واليمن والإمارات العربية المتحدة وعُمان .

العراق:

دولة للكرد في الشمال والشمال الشرقي .
دولة شيعيّة في الجنوب.

---

[18] - برنارد لويس مستشرق بريطاني أمريكي (1916 -...) أحد المتخصصين البارزين في تاريخ الشرق الأوسط في علاقته بالغرب، أستاذ متقاعد بجامعة برنستون.

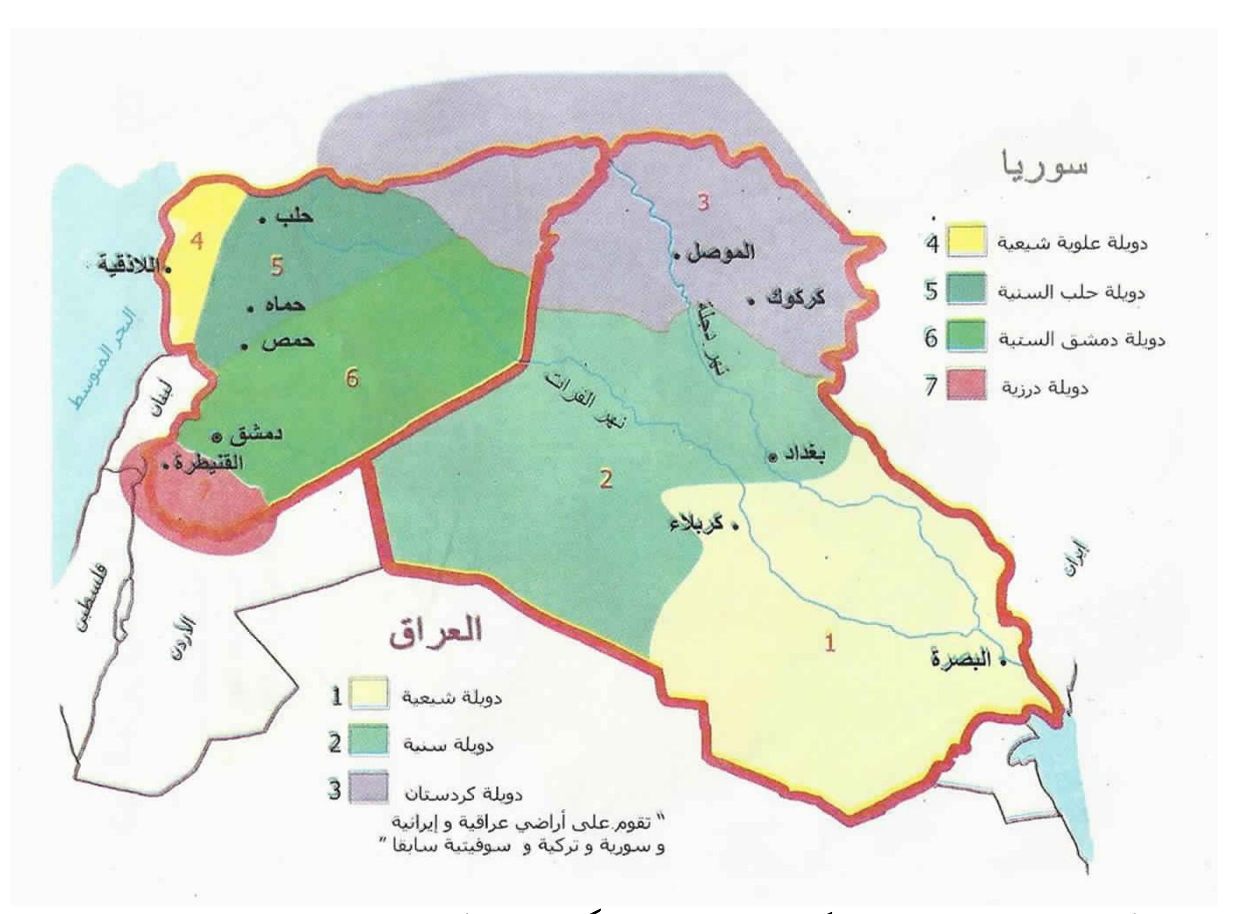
دولة سنيّة في الوسط (بغداد وما حولها).
وبالفعل تحت غطاء الفيدراليّة تمّ تقسيم بلاد الرافدين إلى المحاور الثلاثة بعد عقِب الغزو الأمريكي للعراق .

سوريا:

دولتان للسنة في كل من حلب ودمشق.
دولة علوية شيعية علي الساحل.
دولة للدروز في الجولان.

لبنان:

دولة للسنّة.
دولة للمارونيين.
دولة للعلويين في سهل البقاع.
تحييد بيروت(تدويلها).
دولة للفلسطينيين حول صيدا وحتي نهر الليطاني تتبع منظمة التحرير الفلسطينية.
دولة درزيّة فى الجولان.
دولة لحزب الكتائب جنوبا.



وعلى أساس عرْقي تمّ تقسيم كلٍّ من إيران وباكستان وأفغانستان إلى عشر دول من بينها كردستان وإيرانستان وعربستان .

لاشكّ أنّ خارطة "برنارد لويس" ليست رؤية أمريكية جامدة للتقسيم فهي تتّسم بالمرونة والقابليّة للتغير ، و منذ الكشف عن ذلك المخطّط تسرّبت عدّة تصوّرات لخارطة الشرق الأوسط في المستقبل ،ومن أبرز الخرائط المستقبلية تلك التي نشرتها صحيفة"نيويورك تايمز"الأمريكية ذات يوم من عام 2013 حيث تظهر 5 دول عربية مفكّكة إلى 14 دويْلة ،هذه الدول هي المملكة العربية السعودية-اليمن-العراق-سوريا-ليبيا، ولم تكن لا تونس ولا مصر من بين الدول المستهدفة في خارطة "روبن رايت"رغم تواتر الحديث عن صناعة الثورة في هذين البلدين بشكل خاص ،والملاحظة نفسها نسوقها في ما يتعلّق بأول خارطة تقسيمية للشرق الأوسط رسم ملامحها"رالف بيترز"[19] ليتمّ نشرها في

[19] - **رالف بيترز**:عقيد أمريكي سابق صاحب أحد أشهر تصورات التقسيم ،نشر له مقال شهير في شهر جوان 2006 ،المقال حمل عنوان:" حدود الدم : كيف ستبدو الخريطة الأفضل للشرق الأوسط".

مجلّة"القوات المسلّحة الأمريكية" عام 2006 دون أن يقع الإعلان الرسميّ عن تبنّيها ، "يستولد" "بيترز" من المنطقة الشرق أوسطيّة (الدول العربية زائد تركيا – إسرائيل- إيران- باكستان وأفغانستان) 7 دول جديدة هي كالآتي:

1- «كردستان الكبرى».
2- «الدولة الشيعية العربية».
3- «سوريا الكبرى».
4- «لبنان الكبير».
5- «الأردن الكبرى».
6- «بلوشستان الحرة».
7- «دولة قومية فارسية».



تقسيم "رالف بيترز"

إدارة بوش الابن والإعلان عن "الشرق الأوسط الكبير":

رغم أنّ إرهاصات الاتّجاه الفعليّ نحو إعادة بناء المنطقة ظهرت منذ ثمانينيات القرن الماضي مع مخطّط المنظر الإسرائيلي أودد نيون المتمثّل في مشروع "إسرائيل الكبرى"، إلّا أنّ الإعلان الأمريكي الرسميّ عن " شرق أوسط جديد" كان في عام 2004 أثناء قمّة مجموعة الثماني الاقتصاديّة عندما تحدّث "كولن باول" عن "نشر" الثقافة الغربية في العالم الإسلاميّ فيما تفرّغ الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الابن للحديث عن الإصلاح والديمقراطية وحقوق الإنسان ...إلخ بوحي من المحافظين الجدد[20] الذين يسيطرون على إدارته ، والحال أنّنا جميعا نعلم أنّ المخطّط هو أشبه بعمليّة تحديث Actualisation لتقسيم "سايكس-بيكو" الاستخرابيّ بمناسبة (أو بذريعة) أحداث الحادي عشر من سبتمبر ،غير أنّ ما يبدو خليقا بالنظر هو ما خطّه "ريتشارد هاس" الخبير الاستراتيجي بوزارة الخارجيّة فالرجل أوصى إدارة البيت الأبيض بتجنّب الحلّ الثوري والاستعانة بالإصلاحات التدريجيّة وهو ما يتعارض جوهريًّا والقول إنّ ثورات الربيع العربي تخدم (في ذاتها) المشروع الأمريكي المتعلّق بالشرق الأوسط الكبير الذي فصّل فيه شمعون بيريز القول في كتاب بدا بالغَ المواربة والمداهنة ولا يُفصح بقدر ما يُخفي ، فالرجل نمّق المصطلح "الاستراتيجي" الأمريكي وأسدل عليه ستارا كثيفا من خطاب الوحدة والتسامح والتعاضد بين جميع مكونات الشرق الأوسط بما فيه إسرائيل، معتبرا مؤتمر مدريد للسلام عام 1991 "فاتحة خير" للمشروع الوحدويّ المأمول (أي المشروع الصهيو-أمريكي) ، لكن يبقى نصّ مشروع "الشرق الأوسط الكبير" كما اقترحته واشنطن على الدول الصناعيّة الثماني قبل التوافق حوله في قمّة جوان 2004 الوثيقة المرجعيّة الأهمّ في هذا الصدد وفي ما يلي نصّها نورده كاملا[21] :

يمثّل "الشرق الأوسط الكبير" تحدياً وفرصة فريدة للمجتمع الدولي، وساهمت "النواقص" الثلاثة التي حددها الكتاب العرب لتقريري الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية للعامين 2002 و2003 ?الحرية، والمعرفة، وتمكين النساء- في خلق الظروف التي تهدد المصالح الوطنية لكل أعضاء مجموعة الـ 8.

---

[20] - المحافظون الجدد Neo Conservatives تيار سياسي أمريكي يميني ينظر للإمبريالية الأمريكية وهو داعم قوي للكيان الصهيوني ،سيطر بشكل واضح على إدارة جورج بوش الابن ولعب دورا كبيرا في الدفع نحو غزو أفغانستان والعراق في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر

[21] -ترجمة غير رسمية نشرتها صحيفة الحياة اللندنية يوم 13 فيفري 2004 .

وطالما تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة، سنشهد زيادة في التطرف والإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة. إن الإحصائيات التي تصف الوضع الحالي في "الشرق الأوسط الكبير" مروعة:

*مجموع إجمالي الدخل المحلي لبلدان الجامعة العربية الـ 22 هو أقل من نظيره في إسبانيا.

*حوالي 40 في المائة من العرب البالغين -65 مليون شخص- أميون، وتشكل النساء ثلثي هذا العدد.

*سيدخل أكثر من 50 مليوناً من الشباب سوق العمل بحلول 2010، وسيدخلها 100 مليون بحلول 2020. وهناك حاجة لخلق ما لا يقل عن 6 ملايين وظيفة جديدة لامتصاص هؤلاء الوافدين الجدد إلى سوق العمل.

*إذا استمرت المعدلات الحالية للبطالة، سيبلغ معدل البطالة في المنطقة 25 مليوناً بحلول 2010.

*يعيش ثلث المنطقة على أقل من دولارين في اليوم. ولتحسين مستويات المعيشة، يجب أن يزداد النمو الاقتصادي في المنطقة أكثر من الضعف من مستواه الحالي الذي هو دون 3 في المائة إلى 6 في المائة على الأقل.

*في إمكان 6.1 في المائة فقط من السكان استخدام الإنترنت، وهو رقم أقل مما هو عليه في أي منطقة أخرى في العالم, بما في ذلك بلدان أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

*لا تشغل النساء سوى 5,3 في المئة فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية, بالمقارنة, على سبيل المثال, مع 4,8 في المئة في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

*عبّر 51 في المائة من الشبان العرب الأكبر سناً عن رغبتهم في الهجرة إلى بلدان أخرى، وفقاً لتقرير التنمية البشرية العربية للعام 2002، والهدف المفضل لديهم هو البلدان الأوروبية.

وتعكس هذه الإحصائيات أن المنطقة تقف عند مفترق طرق. ويمكن للشرق الأوسط الكبير أن يستمر على المسار ذاته، ليضيف كل عام المزيد من الشباب المفتقرين إلى مستويات لائقة من العمل والتعليم والمحرومين من حقوقهم السياسية. وسيمثل ذلك تهديداً مباشراً لاستقرار المنطقة، وللمصالح المشتركة لأعضاء مجموعة الثماني.

البديل هو الطريق إلى الإصلاح. ويمثل تقريرا التنمية البشرية العربية نداءات مقنعة وملحة للتحرك في الشرق الأوسط الكبير. وهي نداءات يرددها نشطاء وأكاديميون والقطاع الخاص في أرجاء المنطقة.
وقد استجاب بعض الزعماء في الشرق الأوسط الكبير بالفعل لهذه النداءات واتخذوا خطوات في اتجاه الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي.
وأيدت بلدان مجموعة الثماني، بدورها، هذه الجهود بمبادراتها الخاصة للإصلاح في منطقة الشرق الأوسط.
وتبيّن "الشراكة الأوروبية-المتوسطية"، و"مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط"، وجهود إعادة الإعمار المتعددة الأطراف في أفغانستان والعراق التزام مجموعة الثماني بالإصلاح في المنطقة.
إن التغيرات الديموغرافية المشار إليها أعلاه، وتحرير أفغانستان والعراق من نظامين قمعيين، ونشوء نبضات ديموقراطية في أرجاء المنطقة، بمجموعها، تتيح لمجموعة الثماني فرصة تاريخية. وينبغي للمجموعة، في قمتها في سي آيلاند، أن تصوغ شراكة بعيدة المدى مع قادة الإصلاح في الشرق الأوسط الكبير، وتطلق رداً منسّقاً لتشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة.
ويمكن لمجموعة الثماني أن تتفق على أولويات مشتركة للإصلاح تعالج النواقص التي حددها تقريراً الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية عبر:
*تشجيع الديموقراطية والحكم الصالح.
*بناء مجتمع معرفي.
*توسيع الفرص الاقتصادية.
وتمثل أولويات الإصلاح هذه السبيل إلى تنمية المنطقة: فالديموقراطية والحكم الصالح يشكلان الإطار الذي تتحقق داخله التنمية، والأفراد الذين يتمتعون بتعليم جيد هم أدوات التنمية، والمبادرة في مجال الأعمال هي ماكينة التنمية.
أولاً - تشجيع الديموقراطية والحكم الصالح
"توجد فجوة كبيرة بين البلدان العربية والمناطق الأخرى على صعيد الحكم القائم على

المشاركة ... ويضعف هذا النقص في الحرية التنمية البشرية، وهو أحد التجليات الأكثر إيلاما للتخلف في التنمية السياسية". (تقرير التنمية البشرية، 2002.)
إن الديموقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية، لكنهما مفقودتان إلى حد بعيد في أرجاء الشرق الأوسط الكبير.
وفي تقرير "فريدوم هاوس" للعام، 2003 كانت إسرائيل البلد الوحيد في الشرق الأوسط الكبير الذي صُنّف بأنه "حرّ"، ووصفت أربعة بلدان أخرى فقط بأنها "حرة جزئياً."
ولفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى أنه من بين سبع مناطق في العالم، حصلت البلدان العربية على أدنى درجة في الحرية في أواخر التسعينات. وأدرجت قواعد البيانات التي تقيس "التعبير عن الرأي والمساءلة" المنطقة العربية في المرتبة الأدنى في العالم. بالإضافة إلى ذلك، لا يتقدم العالم العربي إلا على أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى على صعيد تمكين النساء. ولا تنسجم هذه المؤشرات المحبطة إطلاقا مع الرغبات التي يعبّر عنها سكان المنطقة.
في تقرير التنمية البشرية العربية للعام 2003، على سبيل المثال، تصدّر العرب لائحة من يؤيد، في أرجاء العالم، الرأي القائل بان "الديموقراطية افضل من أي شكل آخر للحكم"، وعبّروا عن أعلى مستوى لرفض الحكم الاستبدادي.
ويمكن لمجموعة الثماني أن تظهر تأييدها للإصلاح الديموقراطي في المنطقة عبر التزام ما يلي:
مبادرة الانتخابات الحرة
في الفترة بين 2004 و 2006، أعلنت بلدان عدة في الشرق الأوسط الكبير (2) نيتها إجراء انتخابات رئاسية أو برلمانية أو بلدية.
وبالتعاون مع تلك البلدان التي تظهر استعداداً جدياً لإجراء انتخابات حرة ومنصفة، يمكن لمجموعة الثماني أن تقدم بفاعلية مساعدات لمرحلة ما قبل الانتخابات بـ:
*تقديم مساعدات تقنية، عبر تبادل الزيارات أو الندوات، لإنشاء أو تعزيز لجان انتخابية مستقلة لمراقبة الانتخابات والاستجابة للشكاوى وتسلم التقارير.
*تقديم مساعدات تقنية لتسجيل الناخبين والتربية المدنية إلى الحكومات التي تطلب ذلك، مع تركيز خاص على الناخبات.

الزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلماني

من أجل تعزيز دور البرلمانات في دمقرطة البلدان، يمكن لمجموعة الثماني أن ترعى تبادل زيارات لأعضاء البرلمانات، مع تركيز الاهتمام على صوغ التشريعات وتطبيق الإصلاح التشريعي والقانوني وتمثيل الناخبين.

معاهد للتدريب على القيادة خاصة بالنساء

تشغل النساء 5,3 في المائة فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية. ومن أجل زيادة مشاركة النساء في الحياة السياسية والمدنية، يمكن لمجموعة الثماني أن ترعى معاهد تدريب خاصة بالنساء تقدم تدريباً على القيادة للنساء المهتمات بالمشاركة في التنافس الانتخابي على مواقع في الحكم أو إنشاء/ تشغيل منظمة غير حكومية. ويمكن لهذه المعاهد أن تجمع بين قياديات من بلدان مجموعة الثماني والمنطقة.

المساعدة القانونية للناس العاديين

في الوقت الذي نفذت فيه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة والبنك الدولي بالفعل مبادرات كثيرة لتشجيع الإصلاح القانوني والقضائي، فإن معظمها يجرى على المستوى الوطني في مجالات مثل التدريب القضائي والإدارة القضائية وإصلاح النظام القانوني.

ويمكن لمبادرة من مجموعة الثماني أن تكمّل هذه الجهود بتركيز الانتباه على مستوى الناس العاديين في المجتمع، حيث يبدأ التحسس الحقيقي للعدالة.

ويمكن لمجموعة الثماني أن تنشئ وتموّل مراكز يمكن للأفراد أن يحصلوا فيها على مشورة قانونية بشأن القانون المدني أو الجنائي أو الشريعة، ويتصلوا بمحامي الدفاع (وهي غير مألوفة إلى حد كبير في المنطقة). كما يمكن لهذه المراكز أن ترتبط بكليات الحقوق في المنطقة.

مبادرة وسائل الإعلام المستقلة

يلفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى هناك أقل من 53 صحيفة لكل 1000 مواطن عربي، بالمقارنة مع 285 صحيفة لكل ألف شخص في البلدان المتطورة، وأن الصحف العربية التي يتم تداولها تميل إلى أن تكون ذات نوعية رديئة.

ومعظم برامج التلفزيون في المنطقة تعود ملكيتها إلى الدولة أو يخضع لسيطرتها، وغالباً ما

تكون النوعية رديئة، إذ تفتقر البرامج إلى التقارير ذات الطابع التحليلي والتحقيقي. ويقود هذا النقص إلى غياب اهتمام الجمهور وتفاعله مع وسائل الإعلام المطبوعة.، ويحد من المعلومات المتوافرة للجمهور. ولمعالجة ذلك، يمكن لمجموعة الثماني أن:

*ترعى زيارات متبادلة للصحافيين في وسائل الإعلام المطبوعة والإذاعية.

*ترعى برامج تدريب لصحافيين مستقلين.

*تقدم زمالات دراسية لطلاب كي يداوموا في مدارس للصحافة في المنطقة أو خارج البلاد، وتمول برامج لإيفاد صحافيين أو أساتذة صحافة لتنظيم ندوات تدريب بشأن قضايا مثل تغطية الانتخابات أو قضاء فصل دراسي في التدريس في مدارس بالمنطقة.

الجهود المتعلقة بالشفافية / مكافحة الفساد

حدد البنك الدولي الفساد باعتباره العقبة المنفردة الأكبر في وجه التنمية، وقد أصبح متأصلاً في الكثير من بلدان الشرق الأوسط الكبير، ويمكن لمجموعة الثماني:

*أن تشجع على تبني "مبادئ الشفافية ومكافحة الفساد" الخاصة بمجموعة الثماني.

*أن تدعم علناً مبادرة منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية/ برنامج الأمم المتحدة للتنمية في الشرق الأوسط-شمال أفريقيا، التي يناقش من خلالها رؤساء حكومات ومانحون و IFIs ومنظمات غير حكومية استراتيجيات وطنية لمكافحة الفساد وتعزيز خضوع الحكومة للمساءلة.

*إطلاق واحد أو اكثر من البرامج التجريبية لمجموعة الثماني حول الشفافية في المنطقة.

المجتمع المدني

أخذاً في الاعتبار أن القوة الدافعة للإصلاح الحقيقي في الشرق الأوسط الكبير يجب أن تأتي من الداخل، وبما أن افضل الوسائل لتشجيع الإصلاح هي عبر منظمات تمثيلية، ينبغي لمجموعة الثماني أن تشجع على تطوير منظمات فاعلة للمجتمع المدني في المنطقة. ويمكن لمجموعة الثماني أن:

*تشجع حكومات المنطقة على السماح لمنظمات المجتمع المدني، ومن ضمنها المنظمات غير الحكومية الخاصة بحقوق الإنسان ووسائل الإعلام, على أن تعمل بحرية من دون مضايقة أو تقييدات.

*تزيد التمويل المباشر للمنظمات المهتمة بالديموقراطية وحقوق الإنسان ووسائل الإعلام والنساء وغيرها من المنظمات غير الحكومية في المنطقة.
*تزيد القدرة التقنية لمنظمات غير الحكومية في المنطقة بزيادة التمويل للمنظمات المحلية (مثل "مؤسسة وستمنستر" في المملكة المتحدة أو "مؤسسة الدعم الوطني للديموقراطية" الأمريكية) لتقديم التدريب للمنظمات غير الحكومية في شأن كيفية وضع برنامج والتأثير على الحكومة وتطوير استراتيجيات خاصة بوسائل الإعلام والناس العاديين لكسب التأييد. كما يمكن لهذه البرامج ان تتضمن تبادل الزيارات وإنشاء شبكات إقليمية.
*تمول منظمة غير حكومية يمكن أن تجمع بين خبراء قانونيين أو خبراء إعلاميين من المنطقة لصوغ تقويمات سنوية للجهود المبذولة من اجل الإصلاح القضائي أو حرية وسائل الإعلام في المنطقة. (يمكن بهذا الشأن الاقتداء بنموذج "تقرير التنمية البشرية العربية)"
ثانياً - بناء مجتمع معرفي
"تمثل المعرفة الطريق إلى التنمية والانعتاق، خصوصاً في عالم يتسم بعولمة مكثفة". (تقرير التنمية البشرية العربية، 2002)
لقد أخفقت منطقة الشرق الأوسط الكبير, التي كانت في وقت مضى مهد الاكتشاف العلمي والمعرفة، إلى حد بعيد، في مواكبة العالم الحالي ذي التوجه المعرفي. وتشكل الفجوة المعرفية التي تعانيها المنطقة ونزف الأدمغة المتواصل تحدياً لآفاق التنمية فيها. ولا يمثل ما تنتجه البلدان العربية من الكتب سوى 1.1 في المائة من الإجمالي العالمي (حيث تشكل الكتب الدينية أكثر من 15 في المائة منها). ويهاجر حوالي ربع كل خريجي الجامعات، وتستورد التكنولوجيا إلى حد كبير.
ويبلغ عدد الكتب المترجمة إلى اللغة اليونانية (التي لا ينطق بها سوى 11 مليون شخص) خمسة أضعاف ما يترجم إلى اللغة العربية.
وبالاستناد على الجهود التي تبذل بالفعل في المنطقة، يمكن لمجموعة الثماني أن تقدم مساعدات لمعالجة تحديات التعليم في المنطقة ومساعدة الطلاب على اكتساب المهارات الضرورية للنجاح في السوق المعولمة لعصرنا الحاضر.
مبادرة التعليم الأساسي

يعاني التعليم الأساسي في المنطقة من نقص (وتراجع) في التمويل الحكومي، بسبب تزايد الإقبال على التعليم متماشياً مع الضغوط السكانية، كما يعاني من اعتبارات ثقافية تقيّد تعليم البنات. وفي مقدور مجموعة الـ 8 السعي إلى مبادرة للتعليم الأولي في منطقة الشرق الأوسط الكبرى تشمل هذه العناصر:

*محو الأمية: أطلقت الأمم المتحدة في 2003 "برنامج عقد مكافحة الأمية" تحت شعار "محو الأمية كحرية". ولمبادرة مجموعة الـ8 لمكافحة الأمية أن تتكامل مع برنامج الأمم المتحدة، من خلال التركيز على إنتاج جيل متحرر من الأمية في الشرق الأوسط خلال العقد المقبل، مع السعي الى خفض نسبة الأمية في المنطقة إلى النصف بحلول 2010. وستركز مبادرة مجموعة الـ 8، مثل برنامج الأمم المتحدة، على النساء والبنات. وإذا أخذنا في الاعتبار معاناة 65 مليوناً من الراشدين في المنطقة من الأمية، يمكن لمبادرة مجموعة الـ 8 أن تركز أيضا على محو الأمية بين الراشدين وتدريبهم من خلال برامج متنوعة، من مناهج تدريس على الإنترنت إلى تدريب المعلمين.

*فرق محو الأمية: يمكن لمجموعة الـ 8، سعياً إلى تحسين مستوى القراءة والكتابة لدى الفتيات، إنشاء أو توسيع معاهد تدريب المعلمين مع التركيز على النساء. ولمعلمات المدارس والمختصات بالتعليم القيام في هذه المعاهد بتدريب النساء على مهنة التعليم (هناك دول تحرم تعليم الذكور للإناث)، لكي يركزن بدورهن على تعليم البنات القراءة وتوفير التعليم الأولي لهن.

للبرنامج أيضاً استخدام الإرشادات المتضمنة في برنامج "التعليم للجميع" التابع لـ"اليونسكو", بهدف إعداد "فرق محو الأمية" التي يبلغ تعدادها بحلول 2008 مائة ألف معلمة.

*الكتب التعليمية: يلاحظ تقرير التنمية البشرية العربية نقصاً مهماً في ترجمة الكتب الأساسية في الفلسفة والأدب وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة، كما تلاحظ "الحالة المؤسفة للمكتبات" في الجامعات.

ويمكن لكل من دول مجموعة الـ 8 تمويل برنامج لترجمة مؤلفاتها "الكلاسيكية" في هذه الحقول، وأيضاً، وحيث يكون ذلك مناسباً، تستطيع الدول أو دور النشر (في شراكة بين

القطاعين العام والخاص) إعادة نشر الكتب الكلاسيكية العربية الخارجة عن التداول حالياً والتبرع بها إلى المدارس والجامعات والمكتبات العامة المحلية.

*مبادرة مدارس الاكتشاف: بدأ الأردن بتنفيذ مبادرته لإنشاء "مدارس الاكتشاف" حيث يتم استعمال التكنولوجيا المتقدمة ومناهج التعليم الحديثة. ولمجموعة الـ 8 السعي إلى توسيع هذه الفكرة ونقلها إلى دول أخرى في المنطقة من طريق التمويل، من ضمنه من القطاع الخاص.

*إصلاح التعليم: ستقوم "المبادرة الأمريكية للشراكة في الشرق الأوسط" قبل قمة مجموعة الـ 8 المقبلة (في آذار/ مارس أو نيسان/ أبريل) برعاية "قمة الشرق الأوسط لإصلاح التعليم."

ستكون القمة ملتقى لتيارات الرأي العام المتطلعة إلى الإصلاح والقطاع الخاص وقادة الهيئات المدنية والاجتماعية في المنطقة ونظرائهم من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وذلك لتحديد المواقع والمواضيع التي تتطلب المعالجة، والتباحث في سبل التغلب على النواقص في حقل التعليم.

ويمكن عقد القمة في ضيافة مجموعة الـ 8 توخياً لتوسيع الدعم لمبادرة منطقة الشرق الأوسط الكبرى عشية عقد القمة.

مبادرة التعليم في الإنترنت

تحتل المنطقة المستوى الأدنى من حيث التواصل مع الإنترنت. ومن الضروري تماماً تجسير "الهوة الكومبيوترية" هذه بين المنطقة وبقية العالم نظراً إلى تزايد المعلومات المودعة على الإنترنت وأهمية الإنترنت بالنسبة للتعليم والمتاجرة.

ولدى مجموعة الـ 8 القدرة على إطلاق شراكة بين القطاعين العام والخاص لتوفير الاتصال الكومبيوتري أو توسيعه في إنحاء المنطقة، وأيضاً بين المدن والريف داخل البلد الواحد. وقد يكون من المناسب أكثر لبعض المناطق توفير الكومبيوترات في مكاتب البريد، مثلما يحصل في بلدات وقرى روسيا.

وقد يركز المشروع أولا على بلدان الشرق الأوسط الأقل استخداما للكومبيوتر (العراق، أفغانستان، باكستان، اليمن، سورية، ليبيا، الجزائر، مصر، المغرب), والسعي، ضمن

الإمكانات المالية، إلى توفير الاتصال بالكومبيوتر إلى اكثر ما يمكن من المدارس ومكاتب البريد.

ومن الممكن أيضاً ربط مبادرة تجهيز المدارس بالكومبيوتر بـ"بمبادرة فرق محو الأمية" المذكورة أعلاه، أي قيام مدرسي المعاهد بتدريب المعلمين المحليين على تطوير مناهج دراسية ووضعها على الإنترنت، في مشروع يتولى القطاع الخاص توفير معداته ويكون متاحاً للمعلمين والطلبة.

مبادرة تدريس إدارة الأعمال

تهدف مجموعة الـ 8 في سياق السعي إلى تحسين مستوى إدارة الأعمال في عموم المنطقة إقامة الشراكات بين مدارس الأعمال في دول مجموعة الـ 8 والمعاهد التعليمية الجامعات والمعاهد المتخصصة) في المنطقة.

وبمقدور مجموعة الـ 8 تمويل هيئة التعليم والمواد التعليمية في هذه المعاهد المشتركة، التي تمتد برامجها من دورة تدريبية لمدة سنة للخريجين إلى دورات قصيرة تدور على مواضيع محددة، مثل إعداد خطط العمل للشركات أو استراتيجيات التسويق. النموذج لهذا النوع من المعاهد قد يكون معهد البحرين للمصارف والمال، وهو مؤسسة بمدير أمريكي ولها علاقة شراكة مع عدد من الجامعات الأمريكية.

توسيع الفرص الاقتصادية

تجسير الهوة الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير يتطلب تحولا اقتصاديا يشابه في مداه ذلك الذي عملت به الدول الشيوعية سابقاً في أوروبا الشرقية. وسيكون مفتاح التحول إطلاق قدرات القطاع الخاص في المنطقة، خصوصاً مشاريع الأعمال الصغيرة والمتوسطة، التي تشكل المحركات الرئيسية للنمو الاقتصادي وخلق فرص العمل. وسيكون نمو طبقة متمرسة في مجال الأعمال عنصراً مهماً لنمو الديموقراطية والحرية. ويمكن لمجموعة الـ 8 في هذا السياق اتخاذ الخطوات التالية:

مبادرة تمويل النمو

تقوية فاعلية القطاع المالي عنصر ضروري للتوصل الى نسب أعلى للنمو وخلق فرص العمل. ولمجموعة الـ 8 أن تسعى إلى إطلاق مبادرة مالية متكاملة تتضمن العناصر التالية:

*إقراض المشاريع الصغيرة: هناك بعض المؤسسات المختصة بتمويل المشاريع الصغيرة في المنطقة لكن العاملين في هذا المجال لا يزالون يواجهون ثغرات مالية كبيرة. إذ لا يحصل على التمويل سوى خمسة في المائة من الساعين إليه، ولا يتم عموما تقديم أكثر من 0.7 في المائة من مجموع المال المطلوب في هذا القطاع.

وبإمكان مجموعة الـ8 المساعدة على تلافي هذا النقص من خلال تمويل المشاريع الصغيرة، مع التركيز على التمويل بهدف الربح، خصوصاً للمشاريع التي تقوم بها النساء. مؤسسات الإقراض الصغير المربح قادرة على إدامة نفسها ولا تحتاج إلى تمويل إضافي للاستمرار والنمو. ونقدّر أن في إمكانها إقراض من 400 مليون دولار إلى 500 مليون دولار يدفع على خمس سنوات مساعدة 1.2 مليون ناشط اقتصادي على التخلص من الفقر، 750 ألفا منهم من النساء.

*مؤسسة المال للشرق الأوسط الكبير: باستطاعة مجموعة الـ 8 المشاركة في تمويل مؤسسة على طراز "مؤسسة المال الدولية" للمساعدة على تنمية مشاريع الأعمال على المستويين المتوسط والكبير، بهدف التوصل إلى تكامل اقتصادي لمجال الأعمال في المنطقة. وربما الأفضل إدارة هذه المؤسسة من قبل مجموعة من قادة القطاع الخاص في مجموعة الـ 8 يقدمون خبراتهم لمنطقة الشرق الأوسط الكبير.

*بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير: في إمكان مجموعة الـ 8 وبمشاركة مقرضين من منطقة الشرق الأوسط الكبير نفسها، إنشاء مؤسسة إقليمية للتنمية على غرار "البنك الأوروبي للإعمار والتنمية" لمساعدة الدول الساعية إلى الإصلاح على توفير الاحتياجات الأولية للتنمية.

كما تستطيع المؤسسة الجديدة توحيد القدرات المالية لدول المنطقة الأغنى وتركيزها على مشاريع لتوسيع انتشار التعليم والعناية الصحية والبنى التحتية الرئيسية. و لـ"بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير" هذا أن يكون مدخلاً للمساعدة التكنولوجية واستراتيجيات التنمية لبلدان المنطقة. اتخاذ قرارات الإقراض (أو المنح) يجب أن تتحدد بحسب قدرة البلد المقترض على القيام بإصلاحات ملموسة.

*الشراكة من أجل نظام مالي أفضل: بمقدور مجموعة الـ 8، توخيا لإصلاح الخدمات المالية

في المنطقة وتحسين اندماج بلدانها في النظام المالي العالمي، أن تعرض مشاركتها في عمليات إصلاح النظم المالية في البلدان المتقدمة في المنطقة.
وسيكون هدف المشاركة إطلاق حرية الخدمات المالية وتوسيعها في عموم المنطقة، من خلال تقديم تشكيلة من المساعدات التقنية والخبرات في مجال الأنظمة المالية مع التركيز على:

-تنفيذ خطط الإصلاح التي تخفض سيطرة الدولة على الخدمات المالية.
-رفع الحواجز على التعاملات المالية بين الدول.
-تحديث الخدمات المصرفية.
-تقديم وتحسين وتوسيع الوسائل المالية الداعمة لاقتصاد السوق.
-إنشاء الهياكل التنظيمية الداعمة لإطلاق حرية الخدمات المالية.

مبادرة التجارة

إن حجم التبادل التجاري في الشرق الأوسط متدن جداً، إذ لا يشكل سوى ستة في المائة من كل التجارة العربية. ومعظم بلدان الشرق الأوسط الكبير تتعامل تجارياً مع بلدان خارج المنطقة، وتوصلت إلى اتفاقات تجارية تفضيلية مع أطراف بعيدة جداً بدلاً من جيرانها. ونتيجة لذلك، أصبحت الحواجز الجمركية وغير الجمركية هي الشيء المعتاد، فيما لا تزال التجارة عبر الحدود شيئاً نادراً. ويمكن لمجموعة الثمانية أن تنشئ مبادرة جديدة مصممة لتشجيع التجارة في الشرق الأوسط الكبير، تتألف من العناصر التالية:
الانضمام/ التنفيذ على صعيد منظمة التجارة الدولية وتسهيل التجارة
يمكن لمجموعة الثمانية أن تزيد تركيزها على انضمام البلدان في المنطقة إلى منظمة التجارة الدولية. (3) وستتضمن برامج محددة للمساعدة التقنية توفير مستشارين يعملون في البلد ذاته في شأن الانضمام إلى منظمة التجارة الدولية وتحفيز التزام واسع من مجموعة الـ 8 لتشجيع عملية الانضمام، بما في ذلك تركيز الاهتمام على تحديد وإزالة الحواجز غير الجمركية. وحالما ينجز الانضمام إلى منظمة التجارة الدولية، سيتحول مركز الاهتمام إلى توقيع التزامات إضافية لمنظمة التجارة الدولية، مثل "الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية" و"اتفاق مشتريات الحكومة" وربط استمرار المساعدة التقنية بتنفيذ هذه الالتزامات الخاصة بمنظمة

التجارة الدولية.

ويمكن لهذه المساعدات التقنية أن تربط أيضا ببرنامج على صعيد المنطقة برعاية مجموعة الـ 8 بشأن التسهيلات والجوانب اللوجستية المتعلقة بالرسوم الجمركية للحد من الحواجز الإدارية والمادية بوجه التبادل التجاري بين بلدان المنطقة.

المناطق التجارية

ستنشئ مجموعة الـ 8 مناطق في الشرق الوسط الكبير للتركيز على تحسين التبادل التجاري في المنطقة والممارسات المتعلقة بالرسوم الجمركية.

وستتيح هذه المناطق مجموعة متنوعة من الخدمات لدعم النشاط التجاري للقطاع الخاص والصلات بين المشاريع الخاصة، بما في ذلك "التسوق من منفذ واحد" للمستثمرين الأجانب، وصلات مع مكاتب الجمارك لتقليل الوقت الذي يستغرقه إنجاز معاملات النقل، وضوابط موحدة لتسهيل دخول وخروج السلع والخدمات من المنطقة.

مناطق رعاية الأعمال

بالاستناد على النجاح الذي حققته مناطق التصدير ومناطق التجارة الخاصة في مناطق أخرى، يمكن لمجموعة الـ8 أن تساعد على إقامة مناطق محددة خصيصاً في الشرق الأوسط الكبير تتولى تشجيع التعاون الإقليمي في تصميم وتصنيع وتسويق المنتجات. ويمكن لمجموعة الـ 8 أن تعرض منافذ محسّنة إلى أسواقها لهذه المنتجات، وتقدم خبراتها في إنشاء هذه المناطق.

منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير

لتشجيع التعاون الإقليمي المحسّن، يمكن لمجموعة الـ 8 أن تنشئ "منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط" الذي سيجمع مسؤولين كباراً من مجموعة الـ 8 والشرق الأوسط الكبير (مع إمكان عقد اجتماعات جانبية لمسؤولين وأفراد غير حكوميين من وسط رجال الأعمال) لمناقشة القضايا المتعلقة بالإصلاح الاقتصادي.

ويمكن للمنبر أن يستند في شكل مرن على نموذج رابطة آسيا-المحيط الهادئ للتعاون الاقتصادي (أبك)، وسيغطي قضايا اقتصادية إقليمية، من ضمنها القضايا المالية والتجارية وما يتعلق بالضوابط.

(1)يشير "الشرق الأوسط الكبير" إلى بلدان العالم العربي، بالإضافة إلى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل.
(2)تخطط أفغانستان والجزائر والبحرين وإيران ولبنان والمغرب وقطر والسعودية وتونس وتركيا واليمن لإجراء انتخابات.
(3)البلدان التي قدمت طلباً للانضمام إلى منظمة التجارة الدولية (شكلت لجنة عمل تابعة للمنظمة): الجزائر ولبنان والسعودية واليمن. بلدان قدمت طلباً للانضمام (لم يُنظر بعد في الطلب): أفغانستان وإيران وليبيا وسورية. بلدان طلبت منحها صفة مراقب: العراق.."..

كان واضحا من خلال فقرات الوثيقة المعلنة عام 2004 أنّ الهمّة الأمريكيّة متعلّقة بمسار "إصلاحي" شامل يكتسح منطقة الشرق الأوسط ويستبق موجة ثوريّة توقّعتها أو حذّرت منها تقارير كثيرة من جهات مختلفة على غرار تقرير "فريدوم هاوس" لعام 2003 و تقرير التنمية البشرية العربية للعام 2003 وتقارير البنك الدولي حول الفساد ، فقد بدا واضحا – آنذاك- أنّ الشباب العربي سيجد نفسه مع انسياب الأيام أمام حتميّة اللوذ بأكثر الأساليب قوّةً وأبعدها أثرا لوضع النظام السياسي برمّته موضع تساؤل ، فقد كانت بشائر(أو نُذُر) التغيير العميق تتفاعل بشكل متسارع لصنع "وضعيّة ثوريّة" تفجّر براميل البارود فقد علّمتنا "سوسيولوجيا الثورة" أنّه ما من تراكم كمّي إلا وأدّى إلى تحوّل نوعيّ ، ذلك أنّ تواتر فواصل «التحرّش السلطويّ» يراكم أسباب تغيير عميق يتجاوز "الدولة" إلى "ما تحتها"، وقد استشعرت الولايات المتحدة كغيرها من القوى التي تتبنّى رؤى استراتيجيّة مستقبلية أنّ وعيا ثوريًّا عربيا برسم الزرع وقيْدَ التشكّل ، وتطلّبت هذه التوقّعات المتعلّقة بالمنطقة التحرّك لوضع سياسات استباقيّة تحتوي التغيير المرتقب وتندرج ورقة الإدارة الأمريكية في قمة الثماني في هذا الإطار الوقائي ، غير أنّ ما يجب أن نقوله في هذا الصدد هو أنّ الإصلاح كان حقيقةً ضرورة استراتيجية من وجهة النظر الأمريكية لكنّه إصلاح يجب أن يكون موجّها من البيت الأبيض، فوثيقة "الشرق الأوسط الكبير"تتحدّث عن

"شراكة بعيدة المدى مع قادة الإصلاح في الشرق الأوسط الكبير، وتطلق رداً منسّقاً لتشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة"..

ولئن كان مشروع الشرق الأوسط الجديد هو الإطار الاستراتيجي للسياسة الأمريكية منذ بداية التسعينيّات إلا أنّ هناك نظريات "تحفّز"على إثارة ما سمّته كوندوليزا رايس ذات يوم من عام 2005 ب"الفوضى الخلاقة" الفكرة الكبرى التي تُلهم صانعي السياسات في واشنطن ،ويُعدّ مايكل ليدين الذي يُعدّ مطوّر البعد العملي لهذه المقاربة وذلك منذ عام 2003 ، ومن أبرز هذه النظريات والمقولات التي تغذّي أدبيات التقسيم "فجوة الاستقرار" و"القلب والثقب":

-مقولة فجوة الاستقرار:

مصطلح عنى به هانتنغتون ذلك البوْن بين ماهو كائن وبين ما يجب أن يكون في المناطق الطرفية الذي يؤدّي مع اتّساعه إلى حالة من الفوضى الناتجة عن التباعد والتنافر المتصاعد بين الشعوب باحتياجاتهم الملحة وحكامها بشغف السلطة الذي يسكنهم ، ليهتزّ شيئا فشيئا استقرار النظام فالدولة ،حتى يصبح الوضع ملائما لتدخّل الولايات المتحدة لتعديل الموقف بالتغيير الذي تراه .



- نظرية القلب والثقب:

القلب تمثله الولايات المتحدة وحلفاؤها فيما يشكّل البقية ذلك الثقب (أشبه ما يكون بثقب الأوزون) الذي كشفته أحداث 11 سبتمبر ،ويقول "بارنيت" إنّ على واشنطن أن تعمل على تقليص "الفجوة"[الثقب] في المنطقة العربية من الداخل لا مجرد احتوائها من الخارج وذلك عبر زرع الفوضى والتدخل لإعادة البناء بما يتماشى والمصالح الغربية نظرا لما تتّسم به العلاقة بين الشعوب وحكامها من "تجاف"و"شذوذ" ساهما في توفير بيئة منتجة وحاضنة للإرهابيين ما يجعل الأمريكيين وشركاءهم أمام حتمية التدخّل بطريقة ما لإعادة ترتيب البيت و"تدجين" من فيه..

كثيرا ما يقع محترفو التفكير التآمري في خطأ الاستقراء الفاسد حيث يتعسّفون على المقدّمات بنتائج مُسقطة ،إذ إنّهم يلوذون بتنظيرات مفكرين واستراتيجيين أمريكيين كُثر ليخلصوا إلى أنّ ما حصل أواخر عام 2010 بداية عام 2011 لم يكن إلا تحوّلا خُطّط له مسبقا ،، وهم بذلك كمن يستنتج أنّ القاتل هو بالضرورة ذلك الّذي هدّد بالقتل.. !!
ثمّ إنّه بمنطق "العقلانيّة الاستراتيجيّة" لا يمكن أن تؤسّس واشنطن لثورات يمكن أن تقود المنطقة إلى فوضى مفتوحة وحالة "هوبسيّة"عصيّة عن الضبط والسيطرة ، فالأمريكيون قد يلجؤون إلى أدوات الإرباك الأمني لكن بطريقة الجراحة الموضعية الدقيقة مثل زرع جماعة دينيّة متطرّفة في رقعة معيّنة و تمويلها واختراقها لاستخدامها في الضغط على الحكومات وتبرير التدخل على الأرض أو خوض حرب بالوكالة إذا اقتضى الأمر ذلك في إطار ما يُسمّى "حروب الجيل الخامس" ، ونستحضر في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر ما نشرته صحيفة "الأخبار" اللبنانية في عدد يوم 22 ماي 2015 نقلاً عن وثائق سمحت بنشرها مجموعة حقوقية أمريكية من أرشيف وزارتي الخارجية والدفاع ما يلي نصّه "الحكومة الأمريكية لن تتمكن من أن تنكر دورها في بناء ما تسمى الإمارة الإسلامية في

[22] – في الحقيقة لم تكن فكرة "صدام الحضارات" ثمرة تفكير هانتنغتون ، فقد سبقه إليها "برنارد لويس" ومن قبله المفكران العربيان المصري"عبد الوهاب المسيري" والمغربي مهدي منجرة ..

شرق سورية أو صعود التيارات الإرهابية المتطرفة فيها ومدها بالسلاح من ليبيا"، وبهذا المعنى علينا التمييز الصارم بين "الفوضى المفتوحة" و"الفوضى الخلاقة التي تحدّثت عنها كوندوليزا رايس ذات يوم من عام 2005... ! "

كما يتغافل البعض عن نقطة مهمّة تدخل في دائرة الاعتبار الاستراتيجي الأمريكي وهي مصالح الحليف الأوروبي[23] ومدى انتفاعها أو تضرّرها من أيّ مخطّط مفترض ، وعليه لا نحتاج إلى عناء كبير حتى نفهم أنّ شيوع الفوضى في دول حوض المتوسّط لا يخدم مصلحة الاتحاد الأوروبي بالنظر إلى تداعياتها المفصليّة التي يمكن اختزالها في النقاط التالية:

- اقتراب المخاطر الإرهابية من الحدود الأوروبية.

- تعاظم مشكلة الهجرة غير الشرعية.

- كلاسيكيًّا دول المغرب العربي هي منطقة نفوذ فرنسي (بالأساس) وأيّ توتّرات في هذا الفضاء الجيو-استراتيجيّ له انعكاساته القاسية على الشركات الفرنسية الكبرى .

- الفوضى في شمال إفريقيا تؤدّي رأسا إلى انكماش الأسواق أمام السلع الأوروبية .

- نحو 50 بالمئة من الصادرات النفطيّة الليبيّة تذهب إلى أوروبا وبالتالي الفوضى في ليبيا تعني آليا تناقص الإنتاج فارتفاع الأسعار بما يشكّل مشكلة حقيقيّة للصناعة الأوروبيّة.

وما يجب أن نعرفه أنّ قاعدة للأفريكوم في شمال إفريقيا أو افتضاض بكارة الثروة في القارة السمراء أو التخلّي عن حكّام متهالكين (ورقات محترقة) لا يحتاج إلى ثورات بل إلى جراحات موضعية يتحرّك فيها المشرط بدقّة وحذر كتدبير انقلابات يمكن بعدها السيطرة على مُجريات الأمور وتوجيه بوصلة التغيير، وهو ما حدث تاريخيا في الزايير سابقا (الكونغو الديمقراطية أو كونغو كينشاسا حاليا) عام 1961 عندما اغتيل لومومبا ، وقد

[23]-يتحدث البعض عن وجود حليف واحد للولايات المتحدة وهو بريطانيا ويشيرون إلى أن التقارب مع دول أخرى هو مجرد التقاء مصالح ظرفي لاغير.

شهدت أمريكا اللاتينية والوسطى معظم التدخّلات الأمريكية الدمويّة سواء بشكل مباشر أو عبر دعم قيادات عسكرية أو مجموعات مسلّحة :
انقلاب إيران عام 1952-1953 وإزاحة مصدّق.

انقلاب غواتيمالا عام 1954 وتنحية الرئيس المنتخب جاكوبو أربينز.

انقلاب الشيلي عام 1973 وإسقاط ليندي وتنصيب بينوشي ...(إلخ)

تسلسل مريب للثورات

من أبرز الحجج التي يسوقها دعاة المؤامرة هو ذلك التسلسل اللافت للثورات العربية 17 ديسمبر 2010 (تونس)-25 جانفي 2011 (مصر) - 11 فيفري 2011 (اليمن) – 17 فيفري 2011 (ليبيا) - 18 مارس 2011 (سوريا) ، هذا الطرح التشكيكيّ يتّكئ على نظرية "الدومينو" الشهيرة التي تقوم على فكرة توتير الوضع في منطقة ما عبر التعويل على "مُثير" تشهده نقطة بعينها بتدخّل خارجيّ على أن تتواتر الأحداث في ما بعد في النقاط (أو الأهداف) المجاورة التي يُشترط أن تكون مجتمعة حول قواسم مشتركة تعبّد الطريق لشكل التحوّل ودرجته..



في الحقيقة لم تكن صفة التسلسل سابقة تاريخية في التجارب الثوريّة حول العالم فقد شهدت ربوع القارة الأوروبية في القرن التاسع عشر سلسلة من الثورات المزلزلة صنعتها معطيات موضوعيّة عدّدها المؤرّخون ولم تسجّل نظرية المؤامرة حضورا يُذكر في قراءاتهم ، لاشكّ أنّكم عرفتم أنّنا بصدد الحديث عن ربيع الشعوب في أوروبا عام 1848 وهي ثورات متعاقبة شملت ما لا يقلّ عن 40 بلدا في فاصل زمني لا يتجاوز 4 أشهر وكالنار في الهشيم سرى لهيب الحراك بين إيطاليا وفرنسا وألمانيا والمجر والنمسا والدنمارك ..إلخ، ورغم صعوبة الظرف الاقتصادي آنذاك كان الأوروبيون ينشدون أساسا الإصلاح السياسي لأنظمة إمبراطورية وملكية متآكلة ، وتماما كما الحالة العربية اندلعت موجة الثورات في بداية الأمر

من إحدى المناطق الطرفيّة (صقلية) وليس من بلد مركزي (فرنسا مثلا) وكان النسج على منوال السيسيليين حاجة "نفسية" لدى الفرنسيين ، حاجة ليست أقلّ شأنا من الدوافع الموضوعيّة المتراكمة التي نسجت خيوط الانفجار، وبالتالي يبدو تعجّب البعض من اندلاع شرارة الهبّات الشعبية من تونس والجعل من ذلك مدخلا إلى التشكيك ليس في طريقه ، ومثلما كان الفرنسيّ يرى في نفسه الريادة التاريخيّة كان المصريّ بكبرياء الفراعنة الذي يسكنه أمام حتمية تدارك مافاتهم من التاريخ ، ولو كان العقل الأمريكي حاضرا في ملحمة التغيير المبارك لما انطلق الزخم الثوريّ من الهامش (تونس) !..

في الحقيقة مجرّد الاستناد إلى معطى تسلسل الثورات للطعن في عفويّتها مثير للاستغراب لأنّ هناك مبدأ شهيرا في علم السياسة وهو مبدأ الترابط العالمي للأحداث عبّر عنه البرلماني البريطاني السابق "جورج غالاوي"ببلاغة حين قال بقوله:"إنّ المقاوم في الرمادي يدافع عن شافيز في كاراكاس" ، فكل بلد يتأثّر بأي حدث يقع في أي نقطة من العالم وما يميّز هذا التأثّر هو فقط التفاوت ، وبطبيعة الحال يزداد هذا الترابط والتفاعل وضوحا في الإطار الإقليمي لاعتبارات القرب الجغرافي وتشابه الظروف..

نحن لن نسقط في فخ الإسقاط Anachronisme فلكلّ تسلسل ثوري سياق تاريخي خاص لكن علينا أن نقرّ بالمقابل بأنّ عوامل "التسلسل"تبدو متوافرة في البلاد العربية بشكل أكبر بكثير من أوروبا ، فالمنطقة العربية تشترك في مقوّمات هوويّة كثيرة كاللغة والدين والعادات ...إلخ كما تتقاسم المشاكل نفسها تقريبا الفقر ، التهميش، القمع ، الفساد ...إلخ.

القُنّاص[24]

لعلّ أشهر المقولات التي يلوكها أنصار المؤامرة هو "الدور المحوريّ"الذي "اضطلع به" القُنّاص في صياغة فصول ثورات "الربيع العربي" ، ومن أبرز الكتاب الذين قتلوا هذه المسألة بحثا الروسي "نيكولاي ستاريكوف" الذي خصّ هذا الموضوع بكتابات عديدة تساءل فيها:"لماذا تلجأ السلطات إلى أسلوب غبيّ كالقنص في حين يمكن تفريق التظاهرات بوسائل فعالة كما حدث في البحرين حين دخلت القوات السعودية إلى المملكة واستخدمت الأسلحة الرشاشة وقضت على التظاهرات في ساعات ؟ !!!" .. نتصدّى لهذا السؤال الحائر بالقول إنّ واشنطن أسقطت مصدّق وأعادت الشاه إلى السلطة في طهران عام 1953 بفضل القُناص الذين نشرتهم على سطوح المنازل (عملية أجاكس) ، أما استنتاج الكاتب غياب عمليات القنْص في العراق وتبرير ذلك بالسيطرة الأمريكية على البلاد وحاجة الولايات المتحدة إلى حكومة بغداد العميلة فنراه طرحا متجاوزا لا يخلو من التبسيط المخلّ ، لأنّنا نزعم بأنّ التفسير الصحيح لهذا الغياب هو الانتشار الميداني للقوات الأمريكية ما يُغني واشنطن عن اللجوء إلى فرق القنص لإسناد النظام العراقي.

وبعيْن الباحث رصد الصحفيّ الإيرلنديّ "جيويد كولمن " وجود قُنّاص مدعومين أمريكيا في رومانيا عام 1998 خلال الثورة على نيكولاي تشاوسيسكو وفي أحداث خريف 1993 في موسكو ومحاولة الانقلاب على شافيز في فنزويلا عام 2002 وغيرها من المحطات التاريخية التي شهدت عمليات قنْص غامضة ،، لو سلّمنا جدلا بسلامة هذا الطرح يمكننا القول بالمنطق نفسه إنّ فرق القنْص انتشرت في دول الربيع العربي للقضاء على الثورات وليس العكس لأنّ التفكير الطبيعي يقضي بالاعتقاد في أنّ فرق الموت أو القُنّاص هم أدوات أعداء الثورة الذين يتوسّلون بكل وسيلة وبكل ما أوتوا من بطش لقمْع التحركات الشعبية ، فظهور عمليات القنْص تماما كانتشار "البلطجية"(مصر) أو"البلاطجة"(اليمن) أو"الشبيحة"(سوريا) والجنسيات الأجنبية لعدد من محترفي القنص لا ينفي هدا الطرح

[24] - القناص بضم القاف وتشديد النون هي جمع "قناص"وفقا للسان العرب ، لم نشأ استخدام لفظ"قناصة" العامي احتراما للغة العربية.

لأنّ المرتزقة وسيلة مألوفة لأي نظام قمعيّ ، ثمّ إنّ"المقارنة ليست سببا وجيها للإقناع"كما يقول المثل الفرنسي الشهير(Comparaison n est pas Raison)..



ولو ألقينا نِظرة خاطفة على شرارات اندلاع الثورات في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا لن نجد أثرا لعمليات قنْص :

تونس :

طارق (أو محمد) البوعزيزي أصيل سيدي بوزيد يُضرم النار في جسده بعد خلاف مع عون شرطة.

مصر: مقتل الشاب خالد سعيد على يد الشرطة المصرية.

ليبيا:

اعتقال محامي ضحايا سجن بوسليم فتحي تربل في بنغازي يوم 15 فيفري 2011 .

سوريا:

رغم التجاذب الثنائي في تحديد تاريخ انطلاق الثورة السورية بين يوميْ 15 و18 مارس 2011 (مظاهرة حوران بدمشق أو حراك درعا) فإنّنا نجازف باعتبار يوم 17 فيفري 2011 تاريخا لانقداح الشرارة الأولى للمدّ الثوري عندما عمد عناصر الشرطة إلى تعنيف

أحد المواطنين في منطقة الحريقة بدمشق ما تسبّب في خروج المئات للتظاهر ورفع شعار رأيناه كثيرا في ما بعد وهو :"الشعب السوري ما بينذلّ" في واقعة ذكّرتنا بالمثال التونسي عندما كانت السلطة (الشرطة البلدية) طرفا فاعلا في صناعة إرهاصات الحالة الثورية .

اليمن:

يمكننا القول إنّ الحرم الجامعيّ قد لعب دور القادح لشرارة الفعل الانعتاقيّ فقد تحرّك الطلبة ورفعوا شعارات التحرّر منذ يوم 11 فيفري 2011 ليكون ذلك إيذانا ببدء الحراك الثوري في اليمن.

علاوة على ما تقدّم نسوق الملاحظات التالية:

اليمن:

ظهر القناصة في اليمن يوم الجمعة 18 مارس 2011 أي بعد أكثر من شهر من اندلاع الثورة ما يُضعف الزعم حتى بوجود نية لتأجيج لهيب الاحتجاجات ..

تونس:

لم يتناثر القُنّاص على سطوح المنازل لقطف أرواح الأبرياء إلا يوم هروب (أو سفر) بن علي (14 جانفي 2011) ومعظم قتلاهم سقط بعد تغييب رأس النظام . [هامش: من 300 جريح و70شهيدا إلى 1000من الجرحى و350 من الشهداء سقط معظمهم في الفترة الفاصلة بين يوميْ 14 و30 جانفي 2011]..

ليبيا:

وجد ثوّار ليبيا أدوات قنص بعد اقتحام مجمع باب العزيزيّة بطرابلس !.. [هامش: علي بلحاج في لقاء خاص مع قناة الجزيرة بعد اقتحام مجمع باب العزيزية والسيطرة على 90 بالمئة منه]..

مصر:

استخدمت الشرطة المصرية الرصاص الحي ضد المتظاهرين في أحداث 28 و 29 جانفي 2011 وبالتالي لم تكن هناك حاجة إلى القُنّاص للتأليب على النظام[25] .

سوريا:

قبل ظهور القُناص كانت دبابات الأسد قد اقتحمت مدينة درعا الثائرة لتقتل العشرات ليكون ذلك كافيا للانخراط النهائيّ في معركة التحرّر.

[25] - تقرير لجنة تقصي الحقائق حول أحداث العنف التي رافقت ثورة ثورة 25 جانفي(19 أفريل 2011) .

تكوين الناشطين في الولايات المتحدة

وحتى تدريب الولايات المتحدة لنشطاء سياسيين يدخل في نطاق التحسّب لوقوع تغيير على نحو ما ولا يرقى إلى درجة الدليل على أنّ الثورات العربية هي صناعة أمريكية كما ذهب إلى ذلك أحمد بن سعادة في كتابه"أرابيسك أمريكية : الدور الأمريكي في الثورات العربية" الذي زعم فيه الكاتب أنّ الربيع العربي ليس إلا حراكا "ملوّنا"[26]رسمت ملامحه وكالات ومعاهد أمريكية على غرار وكالة التنمية الدولية والمعهد الديمقراطي للشؤون الدوليّة...إلخ،وما يُقرّ به أعداء الثورات قبل أنصارهم هو غياب الرؤوس ، فلا أحد ممّن تردّد أنّهم صنيعة منظّمات أمريكيّة غير حكومية قاد أيا من الهبات الشعبيّة ..

لاشكّ أنّ لهؤلاء البيادق (المزعومين) أثر لا يُنكر في رفع درجة الضغط الجماهيري على الحكّام ولاسيّما عبر مواقع التواصل الاجتماعي السلاح الأهمّ الذي توسّل به الشباب لهزّ أركان الأنظمة ،غير أنّ ما يبدو أوضح من أن نشير إليه هو سذاجة الاعتقاد في أنّ عددا من النشطاء المدعومين أمريكيا يمكنهم خلق واقعة ثورية في منطقة جغراسياسية نزع أهلها طَوال عقود إلى الصمت والتمسك بتلابيب الاستقرار، أما التصريح الذي يتناقله البعض عن "هيلاري كلينتون"بشأن "تكوين شباب لإسقاط أنظمة" فلا يمكن حمله (إذا افترضنا صحّته) إلا على معنى التسويق السياسي المحض ..

[26] – نسبة إلى الثورات الملونة في أوروبا الشرقية ووسط أوروباوعدد من الدول الآسيوية، والسمة العامة لهذه الثورات هو "التغربن" (غربية الهوى).

خطاب أوباما في القاهرة

يلوذ البعض بكلمة الرئيس الأمريكي باراك أوباما التي ألقاها في جامعة القاهرة عام 2009 متوجّها بها إلى العالمين العربي والإسلامي ..



بعد قيام الثورات أو الثورة العربية عام 2011 وبأثر رِجعيّ (ماضويّ) استرجع المسترجعون هذا الخطاب الشهير واسترعى اهتمامهم الجزء المتعلّق بالديمقراطية وأكثر ما غذّى شكوكهم قول أوباما:

"إن أمريكا تحترم حق جميع من يرفعون أصواتهم حول العالم للتعبير عن ارائهم بأسلوب سلمي يراعي القانون حتى لو كانت اراؤهم مخالفة لارائنا وسوف نرحب بجميع الحكومات السلمية المنتخبة شرط أن تحترم جميع أفراد الشعب في ممارستها للحكم"..

في الحقيقة لم نر في كلمة الرجل ما يمكن اعتباره إعلانا واضحا عن سياسات قادمة أو استراتيجيات مستقبليّة ، فقد كان حديثه شعاراتيا بامتياز لا جديد فيه سوى أنّه اتّسم بقدر من تفصيل لا يشفّ ولا يصف ، إذ جاء النصّ جامدا رغم تأويلات المتأوّلين وإسقاطات المتعسّفين .

لطالما نُظر إلى مبارك إسرائيليا بصفته كنزا استراتيجيًّا ما ساهم في بناء علاقات مصريّة أمريكيّة على قدْر كبير من المتانة حتى إنّ باراك نفسه لم يوجّه ولو رسالة انتقاد واضحة إلى النظام المصريّ بشأن وضع حقوق الإنسان ما بين 2008 تاريخ صعوده إلى سدّة الرئاسة و25 جانفي 2011 موعد اندلاع شرارة الثورة المصريّة وهذا وفقا لتقرير صادر عن الكونغرس عام 2011 ،كما أنّ أول مكالمة هاتفية أجراها الرئيس رقم 44 للولايات المتحدة بعد تنصيبه الرسمي كان مع حسني مبارك ، ومن المعروف أنّ القوى العظمى تفضّل دائما التعامل مع حاكم فرد لا يحتاج إلى البرلمان لتمرير قراراته ولا يخضع لضغوط مجتمع مدني قويّ ، والديمقراطية لا توفّر هذه المزايا بل تضمن نقيضها حيث يتعقّد صنع القرار وتُصبح عملية السيطرة معقّدة بدورها ثمّ إنّه ("ثمّة مشكلة تتّصل بما اشار غليه هانتنغتون باعتباره"مفارقة الديمقراطية " أو بلغة أسهل :قد تنتج الديمقراطية حكومات منتخبة معادية لأمريكا ،هذا صحيح لهذا تفضّل الولايات المتحدة أنظمة الحكم الفاسدة والعسكرية والديكتاتورية ")[27] ..

ثمّ إنّ أوباما كان آنذاك في بداية ولايته الأولى على رأس الولايات المتحدة وهو وضع لا يشجّع –عادةً- على خوض المغامرات السياسيّة أو الحربية خاصة بعد أن مُنيَ حزبه بالهزيمة في انتخابات التجديد النصفيّ للكونغرس الأمريكيّ ..

---

[27] - كتاب"الإمبرياليون الجدد إيديولوجيات الإمبراطورية" كولن مويرز ترجمة معين الإمام منتدى سور الأزبكية ص91.

برنارد هنري ليفي

أما عن المفكّر الصهيوني"برنارد هنري ليفي"فلا يمكن أن نقول إنّه قد أشعل فتيل الثورة الليبية كما قيل ويُقال بل إنّه حاول أقلمة الحالة الثورية مع المصالح الغربيّة من خلال حثه الناتو من خلال باريس على التدخّل لمساعدة الثوار على إسقاط القذافي في محاولة لضمان مرحلة مابعد العقيد ، فمثلما لحق بركب الثورة المصرية في ميدان التحرير أمسك بتلابيب الثورة الليبية الوليدة، لا أحد منا يمكن أن ينزّه الفيلسوف الفرنسي من معرّة التصهيُن والعداء للإسلام وهو القائل: «العلاقة مع إسرائيل هي مُكوّن من مكونات يهوديتي، ولن أنكر نظريتي في مؤتمر القدس: يتعيّن أن نكون في منتهى القسوة مع الإسلام الفاشي، وقلت دائماً إن حرب الحضارات الوحيدة القائمة في الإسلام، هي التعارض بين الإسلاميين الفاشيين والمعتدلين، بين أعداء الديموقراطية وأصدقائها ،هذه هي الحرب التي ألاحقها»..فالرجل من رافعي لواء صدام الحضارات بنكهة صهيونية في امتداد شرس لبرنارد لويس وهانتنغتون ،لكنّ وجود عرّاب الحروب الأهلية في ليبيا أيام الثورة الليبيّة ولعبه دورا فيها-انظر كتابه «الحرب دون أن نحبّها: يوميات كاتب في قلب الربيع الليبي» – لا يعني باي حال من الأحوال أنّ تلك الثورة هي صنيعة الغرب أو أنّ الليبيين وقعوا في الفخ عندما ثاروا..



ومانراه أنّ التشبيه الذي أقامه البعض بين "هنري ليفي"ولورنس العرب"هو تشبيه متعسّف إلى أبعد الحدود فتوماس إدوارد لورنس ساهم في إطلاق شرارة التمرّد العربي -"الثورة العربية"-ولم نكن آنذاك إزاء تقاطع مصالح بل كنا بصدد غباء سياسي عربي فريد أما"برنارد"فلم يصنع الثورة الليبية -ولا غيرها من ثورات الربيع العربي- وزيارته لبنغازي كانت بصفته مبغوثا شخصيا للرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي ولم يقع استقباله بصفته الشخصيّة بل استوعبت الواقعة الثورية في انطلاقتها مصالح متناقضة لرؤى مختلفة..

ومن القرائن الدالة على محاولة الدوائر الغربيّة ومن لفّ لفّها صناعة أسطورة "ليفي" ضخّ هذا السيل الهائل من الصور المفبركة للرجل في كل من ليبيا ومصر وسوريا والسودان... في ظروف مبالغ فيها من حفاوة الاستقبال،وتصريحه المدوّي بأنّ إسرائيل هي صانعة "الربيع العربي" يثبت بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ "برنارد"ليس إلا صناعة إعلامية تحاول عبثا إظهار الكيان الصهيوني كقوة قادرة على صنع هبات الشعوب ،ولو كان ذلك الادّعاء صحيحا لما أعلنها ليفي صريحة صافية من كلّ كدر ! ..

تسريبات ويكيليكس !!

يؤسّس بعض المشكّكين حججه على تسريبات "ويكيليكس" ودورها في خلق ما سُمّي لاحقا "ثورات الربيع العربي"في إطار ما يُسمّى حروب "الجيل الرابع"،فقد اعتُبرت الوثائق التي سرّبها الموقع المثير للجدل حول عدد من البلدان العربية عملا استخباريا أمريكيا يستهدف "الاستقرار"في المنطقة بما يعبّد الطريق لتنفيذ مشروع "الشرق الأوسط الجديد"، من أبرز ما تمّ نشره وثائق تتعلّق بتعاظم الفساد داخل "العائلة المالكة" في تونس وتواطؤ مصر مبارك مع تل ابيب خلال العدوان الصهيوني على غزة أواخر عام 2008 بهدف إزاحة حماس من المشهد والتمكين لحركة فتح ، الاستنتاج الأبرز الذي نخرج به من تلك التسريبات أنّها لم تأت بجديد يُذكر فمن من التونسيين لم يسمع عن فساد عائلتي بن علي وزوجته ليلى الطرابلسي ومن مِن المصريين لم يعلم بخيانة نظام مبارك وارتباطه العميق بواشنطن ومن ورائها الكيان الصهيوني ، الاستنتاج الثاني هو ذلك التسريب اللافت والذي تحدّث عن "قيادي شاب"[28] تعدّه الولايات المتحدة للقيام بثورة ضدّ مبارك فهل بهذه المباشراتيّة الفجّة تهيّئ الدوائر الاستخبارية الأمريكية الأجواء لتفجير الوضع في مصر !! ..



رغم اتهام بعض المتفقّهين للموقع الشهير بأنّه أداة استخبارية أمريكيّة لا تنشر سوى ما تريد واشنطن نشره فإنّا نزعم بأنْ لا شيء يمنع –مبدئيا- من تصديق ما وقع تداوله عن مصدر

[28] – مصادر كثيرة أكدت أن القيادي الشاب المقصود هو "وائل غنيم".

الوثائق المسرّبة وهو جندي في الاستخبارات العسكريّة الأمريكيّة معاد لسياسات بلاذه ، هذا ليس تبسيطا مخلّا لأنّنا نعلم جميعا إلى أيّ درجة من التضحية يمكن أن تصل الحماسة بدعاة السلام أو المناهضين للعولمة حول العالم ، وعندما يقول "جوليان أسانج"دون موارية إنّ موقعه هو صانع الربيع العربي ففي ذلك تقويض(ما) لفكرة وقوف أمريكا خلف هذا الربيع .

تونس .. «ثورة» أم «انقلاب» ؟!!!..

تواترت في الفترة الأخيرة الروايات المشكّكة في اندلاع "ثورة"في تونس وهي كلّها تدور حول ربع الساعة الأخير أيْ طريقة إزاحة بن علي من السلطة وتتجاهل تماما ذلك"الخروج" الشعبي المهيب بين 17 ديسمبر و14 جانفي 2011 ،وحتّى لو جادلنا بأن ما حدث لم يكن "ثورة" بالمعنى الدقيق للكلمة فإنّنا لا نستطيع تجاهل توافر مقوّمات "الوضعية الثورية" التي اختمرت وانطلقت من سيدي بوزيد ،ومثّلت العامل الرئيس الذي أدّى إلى زعزعة أركان النظام بهرميّته (الرسمية) الصارمة ولولاها لما حدث ذلك "الشرخ"الذي يسميه البعض "الانقلاب"على رأس السلطة..

ولئن كنّا نقرّ بتواطؤ عناصر داخلية وخارجية ضد مشروع التغيير و الالتفاف عليه (لاحقا) بطريقة "ممنّقة"وغير مألوفة (مقايضة "الاستقرار" بالتوافق) إلّا أنّ وقائع كثيرة تعضد حقيقة انطلاق مسار ثوري (ما) لم تترك الجسال فسيحا أمام قوى التغيير من الداخل (الانقلابيين) لإدارة "التحوّل" بسلاسة ويمكننا في هذا السياق استعادة حوادث "ثورية"بعينها في القلب منها اعتصاما القصبة-1-و-2- بُعيْد فرار(أو سفر) بن علي إلى جدة ..

إنّ قراءة بسيطة لتاريخ الثورات القديم والحديث نقف على حقيقة باتت من مسلّمات "سوسيولوجيا الثورة" وهي أنّ الواقعة الثورية حالة "مفتوحة" أيْ إنّها فعل ممتدّ في الزمن تبدأ بانتقال سياسي محدود قبل أن تتحوّل إلى انقلاب كوبرنيكي تاريخي..

المبرّر الوحيد الذي يجعلنا ننكر عما حدث في تونس صفة "الثورية" هو ما وقع ما بعد تغييب رأس النظام ؛ هل لامس التغيير نخاع عظم الدولة أم لا؟؟..
قطعا لا،.لكننا حتى بهذا المعنى لا نحسم المسألة لأنّنا نحتاج إلى فاصل زمني لرصد التغييرات الحاصلة ومدى عمقها ،فقد تقلّبت الثورة الفرنسية بين النظام الملكي والمهوري تحت وقع مقاصل الداخل وهزائم الخارج وشهدت مخاضا عسيرا استغرق زهاء قرن من الزمان..

ومهما كانت التفاعلات التي اختمرت داخل النظام الحاكم من دسائس ومؤامرات فإنّها لا تنزع عن الحدث صفته الثورية ، وحتى الانتقال الى الأسوأ لا يلغي هذه الصفة ، فالثورات جوهرُ ماهيتها التقلّب الوئيد المدفوع بروح الانتقال نحو الأفضل وهو ما ينسجم حتى مع الأشكال الأكثر تقليدية للثورة التي رصدها آرسطو على أساس درجة التعاطي مع الدستور سواء إلغاءً أو تعديلا..



القضيّة الأساسية في رأينا هي حقيقة وقوعنا ضحايا خدعتين كبيرتين:ثورة بلا رأس وثورة بلا دم ..ليس هناك ثورة بلا رأس وليس هناك ثورة بلا دم ،الثورة الفرنسية قادها "روبسبيير"وآخرون وتقدّمت على وقع المقاصل ، الثورة الروسيّة قادها لينين وارتقت على إيقاع الرمي بالرصاص ، الثورة الإيرانيّة قادها الخمْيْني وعُلّقت المشانق في الشوارع[...]،هذا هو تاريخ الثورات شئنا أم أبيْنا ،لكنّ الدم -الذي نعنيه-ليس بالضرورة ذلك السائل البيولوجي الأحمر ،إراقة دماء رموز النظام السابق يمكن أن تكون مجازيا عبر أضعف الإيمان وهو العزل السياسي ومحاكمة المذنبين..استطاع الغرب إيهامنا بأنّنا قمنا بثورة استثنائية على غير منوال سبق،لا قيادة فيها ولا اقتصاص،، جعلونا نتوهّم أنّ المسار الثوري يمكن أن يقترن بمسار إصلاحي ومنهج توافقي،، لكن رغم هذا وذاك نزعم أنّ تغييرا عميقا قد حصل ، وكما أنّ الدليل على الفطيرة أنّنا نأكلها كما يقول المناطقة فإنّ دليلنا على

الحرية أنّنا نمارسها وماكنا لنمارسها لولا وقوع تغيير من الخارج [ثورة(ما)] وليس تغييرا من الداخل [انقلاب ما]..

صفوة القول؛ رغم المأزق النظري المتعلق بتكييف ما حصل في الدول العربية الأربع والتردّد حيال توصيفه ب"الثورة"ومسارعة البعض إلى اعتباره مجرد هبّة أو انتفاضة أو وثبة (...) فإنّنا لا نستطيع أن ننكر بأيّ حال من الأحوال حدوث حالة ثورية شعبية عامة يمكن التعاطي معها في أسوأ الأحوال كثورات موجودة بالقوة إن أقررنا أنّها غير موجودة بالفعل، ولاشكّ أنّنا نحتاج للخلوص إلى استنتاجات علمية إلى فاصل زمني لا يقلّ عن جيل [نحو 30 سنة]، عندها فقط يمكننا تسجيل "موقف تاريخي" أكثر موضوعية وأقل انفعاليّة في ضوء ما سيظهر من معطيات جديدة تتعاضد في تكوينها أدلة حيّة وموثّقة تميط اللثام عن المسكوت عنه راهنا، كما نحتاج إلى فسحة من الزمن نرقب فيها ومن خلالها تطوّرات الأمور وما "سيستقرّ" عليه الوضع.

سوريا ..ومنطق نظرية المؤامرة

يستند القائلون بالمؤامرة الغربية ضد نظام الأسد في سوريا إلى نقطة بعينها تدور حول "الدور المقاوم والممانع"الذي يضطلع به النظام البعثي بما يجعله شوكة في خاصرة الكيان الصهيوني..

آل الأسد وأكذوبة المقاومة والممانعة! :

في ما يلي غيض من فيْض شواهد وفواصل تاريخية كثيرة تقوم دليلا على زيْف الشعارات الثوريّة التي طالما رفعها آل الأسد في سوريا منذ أيام الانتداب الفرنسي إلى اليوم زمنَ "قُنيْطرة"مدمّرة وثلثيْن من "الجولان" تحت الاحتلال :

__1في ثلاثينيات القرن العشرين أرسل جدّ حافظ الأسد سليْمان "الوحش" رسالة إلى رئيس الوزراء الفرنسي -آنذاك-"ليون بلوم"سأل فيها الفرنسيين البقاء ، كما مدح فيها اليهود وذمّ العرب واصفا اليهود بأنّهم بُناة الحضارة معتبرا العرب سقط المتاع وأعداء البشريّة!... وقد لوّح وزير الخارجية الفرنسي "لوران فابوس"عام 2012 بوجود وثيقة رسمية لدى وزارة الخارجية الفرنسية تؤكّد الواقعة وذلك اثناء مشادة كلامية حدثت بينه وبين المندوب السوري الدائم في الأمم المتحدة بشار الجعفري..

__2الرائد "خليل مصطفى"ضابط في المخابرات السوريّة في الجولان أثناء حرب 1967 في كتابه "سقوط الجولان"الذي سُجن بسببه عام 1975 :"إنّ وزير الدفاع -حافظ الأسد آنذاك- أعلن عن سقوط القُنيْطرة قبل سقوطها فعليا ب16 ساعة..!"

__3 إبراهيم ماخوس وزير الخارجية السوري الأسبق بعد هزيمة 1967 :"ليس مهما أنْ يحتلّ العدوّ دمشق أو حتى حمص أو حتى حلب فهي مجرّد أبنية وأراض يمكن تعويضها ،والمهمّ أن يبقى حزب البعث"!.. واليوم نقف على حقيقة رسوخ هذه "الثقافة المركزيّة الاستئصاليّة.."

ـــ4 المفكّر السوري سامي الجندي في كتابه "أتحدّى وأتّهم" الصادر في نهاية الستينيات:"سقط الجولان ولم يُحاكَم إنسانٌ واحد من الذين يجب أن يتحملوا مسؤولية الهزيمة، ذلك أن البدء بالمحاكمات يفضح الكثير من الأسرار. إن أي عسكري مبتدئ يعرف أن طبيعة الأرض في الجولان تسمح للجيش السوري أن يصمُد لأشهر، ومع ذلك سقط بساعات..!!"

ـــ5 الجيش السوري كان يستهدف بدخوله إلى لبنان تصفية المقاومة اللبنانية والفلسطينية بدعوى عدم منح الذريعة للإسرائيليين للتدخّل واحتلال لبنان ما يعني مزيد تطويق سوريا إسرائيليا ،وقد نقلت وكالة الأنباء الأمريكيّة"يونايتد براس"عن المبعوث الأمريكي دين براون تأكيده أنّ دبلوماسيين سوريين قالوا لمسؤولين أمريكيين إنّ وجود قوات سوريّة في لبنان يستهدف المقاومة.

ـــ6 أكّد "كارتر" بعد اجتماعه بالأسد عام 1977 أنّ عملية إخضاع المقاومة الفلسطينية واللبنانية في لبنان كانت جزءا من استراتيجية كبيرة لإضعاف المقاومة ومعارضي التسوية وبالفعل ارتكبت القوات السورية مجازر بحق الفلسطينيين ومذبحة تل الزعتر عام 1976 إحداها..!

ـــ7إسحاق رابين رئيس وزراء الكيان الصهيوني الهالك -في بدايات الوجود السوري في لبنان- :"علينا عدم إزعاج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين فهي تقوم بمهمة نتائجُها الحسنة لا تُحصى.."!

ـــ8 في منتصف سبعينيات القرن الماضي المبعوث الأمريكي إلى لبنان "دين براون"قال بعد اجتماعه برفعت الأسد[شقيق حافظ وقائد العسكري] إنّهم اتّفقوا على دعم النظام السوري والسماح للمخابرات الأمريكية بالتواجد بدمشق للكشف عن المخططات ضدّ النظام مقابل

أن تضع سوريا المقاومة اللبنانية تحت سيطرتها..!

_9 كمال جنبلاط في كتابه "هذه وصيّتي": " نقل عن ياسر عرفات قوله للأسد عند اجتماعه به في [1976/3/27] إن قلب المقاومة ومستقبلها موجود في لبنان ، وإن إرهاب الجيش السوري والصاعقة لن يفيد ، وإنه يعز علينا أن نصطدم بالجيش السوري ونحن على مرمى مدفعية العدو الصهيوني والأسطول السادس الأمريكي . فكان رد الأسد : [ليس هناك كيان فلسطيني ، وليس هناك شعب فلسطيني، بل سوريا وأنتم جزء من الشعب السوري ، وفلسطين جزء من سوريا ، وإذن نحن المسؤولون السوريون الممثلون الحقيقيون للشعب الفلسطيني]..!"

_10 الزعيم الفلسطيني الشهيد ياسر عرفات:"شارون العرب[حافظ الأسد]قد حاصرنا من البر، وشارون اليهود قد حاصرنا من البحر..!"

_11 عام 1980 نقلت صحيفة "هآرتس"العبريّة عن لواء إسرائيلي تطمينات مفادها عدم اندلاع حرب مع سوريا إلا إذا حدث انقلاب في دمشق..!

_12 اجتاح الجيش الإسرائيلي بيروت ذات يوم من شهر جوان 1982 مدمّرةً الدفاعات الجوية السورية ومُسقطةً طائرات وردّ حافظ الأسد كان حاسما"[لم تخرج رصاصة مقاومة واحدة]..!!

_13 دمشق استضافت قادة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" حتى يكونوا تحت أعينها الاستخبارية وتضع حركاتهم وسكناتهم تحت المجهر..!

_14 في جوان 2006 طائرات حربية إسرائيلية حلّقت فوق القصر الرئاسي ولم يحرّك نظام "الممانعة" في دمشق ساكنا..!

_15 عاموس جلعاد رئيس الهيئة السياسية والأمنية في وزارة الحرب الإسرائيلية بعد اندلاع شرارة الثورة السوريّة :"سقوطُ الأسد سقوطٌ لدولتنا..!"

_16 في تصريحات أدلى بها على هامش ملتقى العراق والتحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية الذي أقيم في أكتوبر 2014 في معهد الدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط بالعاصمة طهران قال مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والإفريقية حسين أمير عبداللهيان إنّ سقوط نظام بشار الأسد في سوريا يمثل تهديداً لأمن إسرائيل!!..

_17 اتحاد شبكات أخبار المخيّمات الفلسطينية أكّد أنّ النظام السوري الرافضي يقتل الفلسطينيين على الهُويّة، يُقتلون فقط لأنّهم من السنّة..!

اتّساقا مع ما تقدّم يصدُق على علاقة النظام الأسديّ البعثيّ النُّصيْري بالكيان الصهيوني ذلك التوصيف الشهير الذي يجعلنا إزاء "علاقة مضاجعة ومماتعة في الليل وملاعنة وممانعة في النهار..!! "، فعن أيّ مؤامرة "كونية"يتحدّثون ؟ !!!..

أمّا عن دعم دمشق لحزب الله وبطولات الأخير المزعومة فنوافيكم بما يلي من الحقائق الموثّقة:

حقائق يجب أن تعرفها عن" حزب الله" ! :

_ (1)بداية من عام 1993 شرعت طهران في التنسيق مع كل من تل أبيب وواشنطن تمهيدا للخروج من لبنان على أساس اضطلاع حزب الله بحماية حدود الكيان من مخاطر تشكّل نواة للمقاومة السنيّة شمال الأراضي الفلسطينية المحتلة وقد تمّ التوصّل إلى صيغة للاتّفاق في أفريل 1996 ،وقد عبّر الأمين العام السابق لحزب اللات صبحي الطفيلي عن هذه الصيغة بقوله:"إنّ النتيجة لتفاهم نيسان هو أنّ المقاومة تحوّلت من مقاومة إلى حرس حدود " !!،، يمكنكم العودة إلى لقاء الطفيلي على قناة new tv في برنامج "بلا رقيب"عام 2003.

_ (2)تنصّ الفقرة (ب) من اتفاق الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان على "قيام عناصر حزب الله بتسلم المواقع العسكرية والأمنية من جيش الدفاع الإسرائيلي، وجيش لبنان الجنوبي فوراً بعد إخلائها؛

للحيلولة دون وقوعها بأيدي منظمات فلسطينية أو إرهابية معادية لإسرائي"[المصدر "الدرر السنية"منشور في 27 ماي 2013.]

_ (3)نقلت صحيفة "معاريف" اليهودية في عددها الصادر يوم 8 سبتمبر 1997 عن ضابط مخابرات إسرائيلي قوله:"إنّ العلاقة بين إسرائيل والسكان اللبنانيين الشيعة غير مشروطة بوجود المنطقة الأمنية ،ولذلك قامت إسرائيل برعاية العناصر الشيعيّة وخلقت معهم نوعا من التفاهم للقضاء على التواجد الفلسطيني والذي هو امتداد للدعم الداخلي لحركتي حماس والجهاد..!! "

_ (4)حسن نصر الله في خطاب ألقاه عام 2000 في "بنت جبيل"بلبنان بعد الانسحاب الإسرائيلي من معظم مناطق الجنوب قال:"إنّ الحزب لن يشارك في أي عمل عسكري ضدّ إسرائيل لهدف تحرير القدس"[المصدر :جريدة الأنباء عدد 8630 ،27 ماي 2000[

_ (5)أثبت الدور الإيراني في غزو كلّ من أفغانستان والعراق أنّ الطرف الشيعي إلّا أنّه طرف مطواع منفتح على "الحوار" مع العدوّ الصهيوني ، وهو ما تدركه واشنطن وتل أبيب جيدا لذلك تحرصان على بقاء حزب الله الذي يعرف جيدا حدود الدور المرسوم له رغم "القلق"الذي يشكّله أحيانا..

_ (6)في حوار مع صحيفة"الحياة"اللندنيّة"(عدد 18 جانفي 2004) قال حسن روحاني الأمين العام لمجلس الأمن القومي الإيراني (آنذاك": (حزب الله مقاومة تقتصر على الأراضي اللبنانيّة"، وعليه؛ لا داعي للحديث عن خوض الحزب لمعركة القدس بعد تحرير مزارع شبعا.. !!

_ (7)شارون في مذكّراته (ص 583) :"لم أر يوما في الشيعة أعداء لإسرائيل على المدى البعيد..!! "

_ (8)يقول علي الصادق في كتابه"ماذا تعرف عن حزب الله؟"(الطبعة الثانية 2007) :"إسرائيل تحرص على النفوذ الشيعي في جنوب لبنان ليكون حاميا لها ممّن يريد الهجوم على إسرائيل من الحدود الشماليّة لها " !!..

_ (9)الشيعة الإمامية الاثنى عشرية لا يعتقدون في وجوب الجهاد ويرجئون ذلك إلى حين خروج إمامهم الغائب(المهدي)، يقول "النعماني"في كتاب"الغيبة (ص70) "كلّ راية تُرفع قبل راية الإمام فصاحبها طاغوت " !!..

_ (10)أخيرا وليس آخرا ؛ ما الذي يجعل الشيعة يدعمون القضية الفلسطينية بهذا الزخم المزعوم وهم يعتقدون أنّ المسجد الأقصى في السماء الرابعة على حدّ زعْم معظم علماء الشيعة وعلى رأسهم "الكُليْني"في "الكافي" كما نحيل على كتاب "المسجد الأقصى أين؟!" لرجل الدين الشيعي "العاملي..!! "

بعد 5 سنوات من الثورة .. لماذا لم يسقط نظام الأسد ؟!!

ربّما أمكننا (اختزال) أسباب صمود النظام السوري إلى حدّ الآن في النقاط التالية:

–عوامل متعلقة بالنظام:

————————————-

_ (1)دعم روسي وإيراني وصيني على جميع الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية وهي حقيقة أقرّ بها قدري جميل نائب رئيس الوزراء السوري المكلف بالشأن الاقتصادي في تصريح لصحيفة الفايننشل تايمز البريطانية...

_(2)تصريحات المسؤولين الإسرائيليين المحذّرة من مغبّة سقوط الأسد (باراك،عاموس جلعاد...) علاوةً على التنسيق الحالي مع دمشق وموسكو تحت ذريعة محاربة "داعش" كلها قرائن ومؤشّرات تشي بوجود دعم صهيوني فعليّ للنظام منذ بدايات الثورة السورية...

_ (3)قوات إيرانية تقاتل إلى جانب النظام...

_ (4)حزب الله يقاتل مع النظام (حالش...)

ـ (5)ميليشيات شيعية من العراق (ماعش) والبحرين واليمن وأفغانستان تقاتل إلى جانب الأسد...

ـ (6)النظام ومن يقاتلون إلى جانبه ينطلقون بتفوّق نوعي في مستوى التسلّح...

ـ (7)النظام عوّل على مرتزقة من عدد من الدول من بينها روسيا وافغانستان (مصادر إعلامية متطابقة من بينها ال CNNأكّدت ذلك...)

ـ (8)ظهور تنظيم الدولة وتمدّده خلق تحدّيات جيوبوليتيكية جديدة ساعدت النظام على استثمار شعار مقاومة "الإرهاب" وتوظيفه في اللعبة الإقليمية والدولية...

ـ (9)فضلا عن هذا وذاك علينا ألّا نذهل عن الطبيعة الطائفية للجيش السوري(الانتماء النُّصيري[العلويّ]) وهو عامل كرّس الولاء لنظام الأسد وعزّز شراسة القتال إلى جانبه ضدّ أغلبية الشعب السنية...

عوامل متعلّقة بالمعارضة:

ـــــــــــــــــــــــــــــ

ـ (1)المعارضة المسلّحة مقسّمة وبعضُها يقاتل البعضَ الآخر...

ـــ (2)المعارضة السياسية ضعيفة ولم تظهرعليها علامات الحياة إلا بعد مؤتمر الرياض الذي أنتج تمثيلية عالية للأطراف المعارضة في الداخل والخارج وخلق هيئة تفاوضية عليا...

ـــ (3)لئن كان الدعم الخارجي للمعارضة موجودا(ولاسيما من الدوحة وأنقرة والرياض إلا أنه ليس على درجة تمكّن من التأثير الحاسم في مجرى الصراع على الأرض.

ـــ (4)هناك تلكؤ غربي (أمريكي بالخصوص) في دعم المعارضة مهادنةً لروسيا وخوفا من مرحلة ما بعد الأسد ...

ومع ذلك يمكن القول إنّ النظام السوري كان على وشك السقوط والتدخل (الجويّ) الروسي فضلا عمّا سبقه من تدخّل مباشر للحرس الثوري الإيراني يؤكد هذه الحقيقة التي تنقض حديث البعض عن وجود التفاف شعبي واسع يسند الأسد ونظامه..


الثورة السورية

هل كانت الثورة الليبية خطأ تاريخيا؟ !!

ما نقوله ابتداء هو أنّ الحقيقة الغائبة أو المغيّبة هي أنّ ما تعيشه ليبيا اليوم هو نتاج لحكم القذافي وليس نتيجة للثورة الليبية التي أطاحت به.. أوليغارشية عائلية مارست التصحير السياسي والمؤسسي لأكثر من 40 عاما وباقتدار لافت.. القذافي حكم ليبيا بطريقة تجعلها تنتهي بانتهائه، يقولون العقيد منع المصارف من التعامل بالربى وأمن للشعب مجانية الكهرباء والماء وما إلى ذلك .. ونحن نقول ليت"العقيد" ترك البنوك الربوية ولم يقم بمجازره في حق الشعب الليبي -مجزرة سجن بوسليم[29] على سبيل المثال لا الحصر- ثمّ إنّه كما يقال .. ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ؛الكرامة البشرية ليست أموالا فقط بل قد تغدو الأموال أداة للاستعباد وامتهان الكرامة الإنسانية، فدون ضمان الحقوق والحريات الأساسية لا يمكن الحديث عن "ليبي كريم"..، و"مواطن قتيل"خير من "مواطن ذليل"؛ القذافي كان قاتلا ولتعودوا إلى الوثائقي الذي أعدّه المخرج البريطاني كريستوفر أولغياتي اكتشفوا كيف كان يخصص المقبور الثلاجات للاحتفاظ برؤوس أعدائه وكيف كان ينتهك أعراض الطالبات بشهادات موثّقة وأدلة دامغة.. القذافي كان زانيا ولتقرؤوا كتاب 'الطرائد: جرائم القذافي الجنسية' للإعلامية الفرنسية أنّيك كوجان الإعلامية ...، وفي قطعة مأسوية غريبة لنجله حين أطلقت قوات الأمن النار على جمهور كرة قدم كان يحتج على الأداء الهزيل لفريقه المفضّل الذي يلعب في صفوفه الساعدي القذافي ليسقط بعد تلك المجزرة المضحكة المبكية 20 قتيلا ! ؛ هذا غيض من فيض الجرائم القذافية في حق الإنسان الليبي ..

هناك من يقول إصرارا إنّ خطأ القذافي الوحيد هو "تجهيله" لمجتمعه .. فهل سياسة التجهيل مجرد خطأ؟!!، كلا.. إنّها"خطيئة"توفّر" السبب الكافي "la cause suffisante" للثورة، لم يخسر الشعب الليبي "إلا قيوده"..، صحيح أنّنا نرى ليبيا اليوم

---

[29] مجزرة سجن بوسليم هي عملية قتل جماعي وقعت في 29 جوان 1996،راح ضحيتها أكثر من 1200 شخص أغلبهم من سجناء الرأي.

كتلة من نار لكنّ ذلك لا يبرّر القول إنّ الثورة كانت خطأ دُفع إليه الليبيون دفعا .. أحيانا نكون مجبرين على الهدم لنستطيع البناء على أسس متينة..، فالاستقرار الذي كانت تعيشه ليبيا هو من قبيل "استقرار المقابر"وليس استقرارا لمجتمع حقيقي ينبض بالحياة.. وحين يقول "فرانكلين بنيامين":"من يضحي بالحرية من أجل الأمن فإنّه لا يستحق أيا منهما"فعلينا أن نصدّقه لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا ألا نسكت عن الحق حتى لانكون شياطين خرساء..؛ وفي سياق متّصل نشير إلى أنّ القول المأثور:"الفتنة نائمة، لعن الله من أيقظها "حديث ضعّفه الألباني.



وحتى إن سلّمنا جدلا بأنّ ثورة 17 شباط/ فبراير(فيفري) تدخل في نطاق مؤامرة كبرى دُبّرت بليل لخلق "فوضى خلاقة"تؤدّي إلى تفتيت ليبيا وتحويلها إلى دويلات وكيانات "مجهرية"لاحول لها ولا قوة.. فإنّ هذه المقاربة لا تبرّر القول إنّ الليبيين قد أخطؤوا في حق العقيد عندما ثاروا عليه، بل إنّ القذافي هو من تواطأ مع المشروع الغربي الامبريالي - الشرق الأوسط الجديد-عبر قمعه الدموي لمظاهرات سلمية ،ولو كان يتمتّع بأدنى ذكاء

سياسي وحس وطني لحقن دماء شعبه وقطع الطريق على "المخططات الغربية"بالانسحاب من السلطة وتسليم مقاليدها لشخصية معارضة.. طبعا هذا الاحتمال يبدو مثاليا و"سرياليا"إلى حد كبير لكنّه كان من بين الخيارات النظرية التي تشكّل الضامن الوحيد لحصول تغيير حقيقي وبدرجة دنيا من العنف والعنف المضادّ..؛ فشخصية العقيد القتيل "معمّر القذافي"النرجسية شكّلت ركيزة أساسية في تحديد طبيعة التعاطي معه ومع بلاده..، بما يعني أنّ الثورة نفسها ليست العمود الفقري للخطة المفترضة.. ولئن كنا نعتقد في تلقائية اندلاع شرارة الثورة الليبيّة اقتداء بالثورة التونسية العفويّة إلا أنّنا نقرّ بركوب الغرب الامبريالي على الحدث لتوجيه بوصلته وضبط إيقاعه بالشكل الذي يخدم الرؤية الشرق أوسطية الجديدة الممهّدة ل"إسرائيل الكبرى"بما يتخلّل ذلك من محاولات اشتفاف عصارة الأرض الليبية التي تنام على أحد أجود أنواع النفط في العالم.. لكنّ هذا الإقرار رغم ما يثيره من مشاعر الخيبة وانقطاع الرجاء لا يجعلنا ننقلب على أعقابنا ونقول إن الليبيين قد أخطؤوا عندما انتفضوا على حكم جائر..، لأننا ببساطة كنا إزاء ضرب من ضروب تقاطع المصالح الوطنية والصهيو-أمريكية في المنطقة ما يذكّرنا بالتقاء مصالح الأفغان العرب مع الولايات المتحدة في محاربة الوجود السوفييتي في أفغانستان في الثمانينيات، فما كان بوسعنا نعت "تنظيم القاعدة"بالعمالة للأمريكان أو وصفهم بالمخطئين بخوضهم حربا ضدّ السوفييت بمجرّد أنّ أمريكا دعمته بالمال والسلاح في الحرب الأفغانيّة ،فقد قاتل المسلمون الروم بما يخدم مصلحة الفرس والعكس بالعكس ، ومن يلوك علكة الغزو الأطلسي واستباحة السيادة الليبية على أساس القرارين 1970[30] و1973[31] أن يتحدّث بالقدْر نفسه من الحماسة عن سلاح الجو الذي سخّره القذافي لقتل شعبه الأعزل .

[30] - القرار 1970 الصادر عن مجلس الأمن الدولييقضي بفرض عقوبات دولية على نظام القذافي والتفويض لمحكمة الجنايات الدولية بالتحقيق في جرائم الحرب المرتكبة ضد المدنيين في ليبيا.

[31] - القرار 1973 يقضي بفرض منطقة حظر جوي فوق ليبيا ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية المدنيين .

فالثورة طريقا إلى التغيير في ليبيا كانت من وجمة النظر الغربيّة من "اللامفكّر فيه" سياسيا إذ :"لم تكن القوى الخارجية تثق في قدرة معارضة الداخل ولا الخارج الليبية على القيام بهذا الدور بفعل تشرذمها، وغموض غاياتها وأهدافها؛ لذا كان التعويل على التغيير من داخل النظام ممثلا في المشروع الإصلاحي لسيف القذافي"[32]

أما الكلام عن روح المقاومة في نفس العقيد فيبدو شديد السُّخف ومثيرا للضحك ، فالرجل انخرط بحماس في الحرب الأمريكية على الإرهاب وعمِل حارسا أمينا لحدود أوروبا (المائية) وأوقف مشروع تطوير الأسلحة غير التقليدية ووافق على دفع تعويضات "لوكربي"[33] رغم نفيه ضلوع نظامه فيها ،ثمّ ولّى وجمه شطْر إفريقيا آملا في صناعة بطولة زائفة بعيدا عن حدود الكيان الصهيوني والمصالح الأمريكية الكبرى في الشرق الأوسط !..

[32] -د.محمد عاشور في دراسة بعنوان:"الثورة الليبية الأسباب والتداعيات ومسارات المستقبل".

[33] - قضية لوكربي المتعلقة بحادثة سقوط طائرة ركاب أمريكية فوق قرية لوكربي Lockerbieبإسكتلندا سنة 1988 واتهم نظام القذافي بالوقوف وراء "العملية".

مصر .. سقوط العميل

"يا مبارك يا جبان يا عميل الأمريكان" في اختزال مكثّف عبّر متظاهرو ميدان التحرير عن حقيقة عمالة النظام المباركيّ للولايات المتحدة طوال فترة حكمه التي امتدّت ثلاثة عقود موسومة (أو موصومة) بالتنازلات و"الانحناءات" ،فقد أكّد رجل الأعمال المثير للجدل حسين سالم أنّ صديقه الشخصيّ محمد حسني مبارك كان يعمل لمصلحة السي آي ايه منذ أن كان نائبا للرئيس الأسبق أنور السادات ،وبعيدا عن هذه الشهادة فقد أكّدت الوقائع والأحداث مدى تبعيّة الرئيس المصري المخلوع للإدارات الأمريكيّة المتعاقبة ، فالرجل بدا شديد التمسّك باتفاقيّة السلام الموقّعة مع الكيان الصهيوني وأبدى التزاما "حرْفيا" بها ،التزاما غير قابل للنقاش أو حتى طلب المراجعة فضلا عن بيعه الغاز بأسعار تفاضلية إلى جانب التنسيق "الموسميّ"مع تل أبيب قبل وأثناء كل عدوان صهيوني على قطاع غزة ،كما يحفظ لنا التاريخ مشاركة مبارك بأكثر من 30 ألف جندي في العدوان الثلاثيني على العراق في حرب الخليج الثانية واجتهاده اللافت في إحكام الحصار على الغِزاويين ، فكيف تعمل واشنطن على إسقاط نظام بهذه المواصفات النموذجيّة ؟ !!،فمبارك كان يوصف أمريكيا وبريطانيا خلال العشر سنوات الأخيرة من حمه بأنّه "حليف يُعتمد عليه"[34] ، وعندما يجري تنسيق أمريكي مع قيادات عسكرية مصرية أيام الثورة وعندما يلقى تعيين عمر سليمان نائبا للرئيس اثناء ثورة يناير دعما من الأمريكان فذلك يعني أنّ خسارة مبارك يجب ألا تؤدّي إلى خسارة"المباركيّة" ،فكما يقول "جيمس باتراس":"عندما تخشى واشنطن اندلاع ثورات تضغط على الحكام المستبدين من أجل تقاسم السلطة أو التنحّي"[35]،وهذا ما حدث بالفعل.. ولمّا كان ذلك كذلك لا يمكن عقلا المساهمة في صنع ثورة شعبية ستطرح بالضرورة أسئلة مراجعات خطيرة من وجهة النظر الأمريكية :

- مراجعة معاهدة السلام مع إسرائيل.

- مراجعة صفقات الغاز مع إسرائيل.

---

[34] – لورانس فريدمان وجيفري مايكلز في كتاب:" «وصف قادة الشرق الأوسط.. تأثير تصورات القيادة على السياسة الخارجية الأمريكية والبريطانية».

[35] – جيمس باتراس في كتاب"الثورة العربية والثورة المضادة أمريكية الصنع"ص18 و19 –ترجمة د.فاطمة نصر.

- مراجعة سياسة الحصار على غزة.

- مراجعة العلاقات المصرية الأمريكية خصوصا في ما يتعلّق بما يُسمّى"الحرب على الإرهاب".

أمّا عن حديث البعض عن تاريخ طويل من التخلي الأمريكي عن حلفائها السابقين من الحكّام فتلك حقيقة لا مراء فيها لكنّها حقيقة محكومة بسياقها ومسوّغاتها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر فصلت واشنطن حليفها السابق صدام حسين عن الخدمة بعدما رصدت ميْله الواضح إلى الانحراف عن الدائرة المرسومة له سلفا منذ تزكية انقلابه على السلطة و"إعفاء"شاه إيران من مهامّه عام 1979 ، فالرجل تجاوز الخطّ الأحمر باستهداف إسرائيل والتحرّش بحلفاء أمريكا في الخليج ، ولم يكن تشجيع صدّام على غزو العراق عبر "تطمينات كاذبة" من السفيرة الأمريكيّة "أبريل قلاسبي" إلا بحثا عن الذريعة المُثلى لاستهداف النظام "المارق" في بغداد وليس محاولة لتحويل "حليف" إلى "عدوّ" ،،وعليه؛ تخلي الولايات المتحدة عن حلفائها ليس موقفا اعتباطيا أو مزاجيا بل هو قرار محكوم بالمستجدات والمتغيّرات في السياسات المتّبعة من قبل الحاكم أو الحليف المفترض، فضلا عن هذا هناك عامل طارئ مهمّ خلقته ثورات الربيع العربيّ وهو "إرادة الجماهير"فعندما ترغب الشعوب في وضع حدّ لحكم الحاكم ليس لواشنطن سوى مسايرة هذه الرغبة واللوذ بمنطق براغماتي يدور حول نُصرة الأمر الواقع حيث "الحصان الرابح" Winner Horse الذي يظهر في الأمتار الأخيرة من السباق مع محاولة تحجيم درجة هذا "التحوّل"وأقلمته مع المصالح الأمريكيّة بعد فاصل زمني تمارَس فيه السياسة الشهيرة "انتظر وراقب"Wait And See ،هذا ما فعلته مع بن علي في تونس ومبارك في مصر وصالح في اليمن والقذافي في ليبيا .

اليمن .. الثورة ليست مصلحة أمريكيّة

لا يمكن لواشنطن المغامرة بإثارة الفوضى في اليمن باعتبارها منطقة :

ـــ تقع خارج النطاق النفطيّ الخليجي.

- تتميّز بتركيبة اجتماعية معقّدة أنتجت سياسيا أزمة شرعية مزمنة أضعفت السلطة المركزية في صنعاء وذلك بفعل واقع الاختلافات العقَديّة (سنة وزيْدية أساسا) والترسّبات التاريخية العميقة (تجربة الانقسام بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبيّ) فضلا عن الدور المؤثّر للعامل القبليّ.

- تتناثر على أرضها جماعات إسلامية"متطرّفة"ليست القاعدة أكثرها تنطّعا ..

- تحتل موقعا استراتيجيا مهمّا (جوار للحلفاء الخليجيين – مضيق باب المندب ـــ همزة وصل بين القارتين الآسيوية والإفريقيّة)

- يحكمها نظام (غير مناهض) للمصالح الأمريكيّة ،فرغم أنّ التقارير الاستخبارية الغربية أثبتت دعم "علي عبد الله صالح" للقاعدة وتمويل بعض من عملياتها لابتزاز الولايات المتحدة فقد تأكّد في المقابل تعاون الرجل "الراقص على رؤوس الثعابين" مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA ومكتب التحقيقات الفيدراليّ FBI [36]

كما أنّه سمح بانتهاك السيادة اليمنية مرارا وتكرارا عبر السماح للطائرات دون طيار الأمريكية بالتحليق في أجواء البلاد وتسديد ضرباتها كيفما اتّفق وفي كل حين وآن ليسقط عشرات الضحايا من المدنيين الأبرياء خصوصا جنوب البلاد..

[36] - نعرض الصحفي فراس اليافعي التاريخ المظلم لعلي عبد الله صالح في مقال نشر عام 2014 ننصح بالعودة إليه يحمل عنوان: "الشاويش عفاش".

الخاتمة

رغم أنّ أصحاب المواقف المعادية للثورات يشكّلون معضلة على الصعيد السياسي إلّا أنّهم ليسوا كذلك من المنظور الفكري ، فوجه الإعضال لا يكمن في "الرفض" بحدّ ذاته بل في غياب نسق فكري صُلب يسند هذا "الرفض"والغلوّ في الاعتداد بمنطق نظرية المؤامرة الذي يُعدّ أسهل طريقة لتحليل ظاهرة ما لأنّه داة تبسيط للمعقّد بطريقة غير عقلانيّة يغلب عليها الهوس بثنائية الظاهر والباطن في تجاهل مقيت للأسباب الموضوعيّة التي نسجت خيوط الحراك ..

في المقابل عندما عارض "إدموند بيرك" التغيير الثوري في بريطانيا في القرن الثامن عشر كان ذلك من منطلق فلسفي عميق يدور حول المحافظة على كيان الدولة والاشتغال على آليات الإصلاح الذاتي والحرص على تجنّب حالة الفوضى التي تقطع ذلك "التراكم التاريخي الخلاّق" ،، ولم يكن موقف "بيرك"مبدئيا أي دوغمائيا مغلقا بل كان يقف عند الحالة البريطانية حصْرا بدليل تأييده للثورة الأمريكية مثلا ،، تجربة المفكّر الإيرلندي الشهير تُعرّي أشباه المثقّفين بعد الثورات العربية الذين مازالوا يسبّحون بحمد الأنظمة "الساقطة"عبر تقديم طروح انطباعية شعبوية تتأرجح في معظمها بين قطبيْ السيئ والأسوأ أيْ معادلة "كنا وأصبحنا" ولا يقدّمون بناءً علميا متماسكا يبرّر وجهة نظرهم"المحافظة"،، فهم لا يفكّكون طبيعة النظام (السابق) بمنهجيّة واضحة ولا يضعون أيديهم على مواطن القوة داخله وعلى مؤشّرات أو احتمالات الإصلاح من الداخل ،ولا يتعرّضون إلى المعطى الدولي والإقليمي كإكراه خارجي يحتّم التمسّك بمسار إصلاحي (ما) بدلا من الحلول الحدّيّة غير مأمونة العواقب ،، لم نر شيئا من ذلك وما رأيناه هو مجرّد صراخ نكوصي وخطاب

مناكِف ومناقِر يتحدّد نقيضا بل ضديدا لكل دعوات التغيير والتثوير ،، على كلّ حال لا يمكن بداهةً لمن كان في الماضي القريب خاشعا في محراب الاستبداد أن ينتقل بين ليلة وضُحاها إلى مثقّف إصلاحي حقيقيّ ، دون أن نغفل في المقابل عن أنّ إصلاحيّي ما قبل الثورة الذين ارتموا في أحضان الثورة فور اندلاعها لم يكونوا يوما إصلاحيين حقيقيين ..

هؤلاء المحافظون المزعومون يشتغلون بدهاء على قيمة "الحرية" ويتعمّدون وضعها على الضفة الأخرى من "الأمن" لنغدو أمام معادلة صفرية مصطنعة لا نظفر بطرف منها إلا بخسارة الآخر ،كل ذلك بمدد من أكثر أدوات صناعة الرأي العام تأثيرا وهي شركات سبر الآراء الموجّهة (بكسر الجيم ونصبها) ، كما يحتجّون بهرم "ماسلو" حيث تحلّ الحاجة إلى الأمن في المرتبة الثانية فيما يُغفلون نقطة مهمة تتعلّق بطبيعة الترتيب "الماسلووي" ذاته، فالرجل قدّم تصوّرا تفاضليا لما به يعيش الإنسان ويبقى وليس ما به يحسُن بقاؤه ويسمى وبالتالي لا نستطيع عدّه مرجعا نهائيا لأيّ نقاش ينشُد حسن بقاء الإنسان لا مجرّد بقائه ، فكما يُقال:"السجين في زنزانته والحمار في طريقه إلى الحقل ينعمان بالأمن.. "!!

حتى ونحن نتحدّث عن "الأمان"باعتباره أساسا لقيام الدولة تاريخيا علينا ألّا نذهل عن تجاوزنا لمرحلة البناء والتأسيس إلى لحظة أخرى هي لحظة ارتقاء قيميّ لا يُطرح فيها (أو يُفترض ألّا يُطرح فيها) "سؤال الأمن" بمعزل عن "أسئلة التحرر" إلا إذا كان ذلك على سبيل الفصل المنهجي البحت..

وقد علّمنا القرآن الكريم ألا نحرص على "حياة" بل على "الحياة" أي أن نطلب شرف البقاء لا مجرّد البقاء، حتى لا ينطبق علينا معنى الآية الكريمة :"وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ" ،، فأولئك الذين يردّدون أنّ الأمن أهمّ من الحرية هم كمَنْ يقول إنّ العيش هو غاية في ذاته (Fin En Soi) ولو كان ذلك كذلك لما فُرض علينا الجهاد ولما قال الرسول صلى الله عليه وسلّم:" من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد .. "!..

وحتونحن نُلقي نِظرة على كتاب:"ربيع المغفّلين: النهاية الممنهجة للعرب في جيو-ستراتيجية حكومة العالم الجديد" وهو أحد الكتب الطاعنة في شرف الثورات العربية يُخيّل إلينا أنّنا أمام "إله أمريكي" يقول للشيء كن فيكون، يقول كاتب الكتاب الطيب بيتي:

"لا مراء في أنه تمَّ استنبات ما يُسمى بـ»ثورات الربيع العربي»، في خريف 2011م؛ كمرحلة انتقالية أخيرة في المشروع الإمبراطوري الأخير ذي الصرح المتهاوي، بهدف الاستدارة على الجغرافية العربية وتطويق شعوبها بغية حشرها تحت السيادة المطلقة للغرب عبر مرحلته «التطورية» التي انتقلت من أوروبا – في ما بين الحربين – إلى الولايات المتحدة الأميركية، للعمل على نقلها بالكامل إلى إسرائيل في ما بعد الربيع العربي... وتلك مهمة الربيعيين"!!،، وكأنّ الخارطة العربية قبل الثورات لم تكن تحت المظلة الأمريكية وكأنّ الكيان الصهيوني مستفيد من موجة التغيير التي اجتاحت المنطقة وكأنّ "الربيعيين" ليسوا إلا جوقة من الخوَنة أو الأغبياء المختوم على قلوبهم وعقولهم وكأنّ صاحب الكتاب الخبير الاستارتيجي يريد إقناعنا بأنّ استثارة نوازع التحرّر لدى الشعوب العربية هو مصلحة صهيو-أمريكيّة !!..

ورغم المأزق النظري المتعلق بتكييف ما حصل في الدول العربية الأربع والتردّد حيال توصيفه ب"الثورة"ومسارعة البعض إلى اعتباره مجرد هبّة أو انتفاضة أو وثبة (...) فإنّنا لا نستطيع أن ننكر بأيّ حال من الأحوال حدوث حالة ثورية شعبية عامة يمكن التعاطي معها في أسوأ الأحوال كثورات موجودة بالقوة إن أقررنا أنّها غير موجودة بالفعل، ولاشكّ أنّنا نحتاج للخلوص إلى استنتاجات علمية إلى فاصل زمني لا يقلّ عن جيل [نحو 30 سنة]، عندها فقط يمكننا تسجيل "موقف تاريخي" أكثر موضوعية وأقل انفعاليّة في ضوء ما سيظهر من معطيات جديدة تتعاضد في تكوينها أدلة حيّة وموثّقة تميط اللثام عن المسكوت عنه راهنا، كما نحتاج إلى فسحة من الزمن نرقب فيها ومن خلالها تطوّرات الأوضاع وما "سيستقرّ" عليه الأمر، وبعيدا عن هذا السجال الفكري يجب أن نتّفق على أنّ المتآمرين أو المغفّلين فقط هم من يتحدّثون عن المؤامرة الغربية ودورها في صناعة

"الثورات" العربية .. إنّهم لا يريدون أن يروْنا خارج مربّع الاستبداد حتى نبقى أبدا تحت نير الاستعباد، وما حصل في بلدان الثورات "ربيع عربي وشتاء أمريكي "أريدَ له أن يتحوّل إلى "شتاء عربي وربيع أمريكي"، ضرب العسكر بقوّة في مصر وأُطلقت أيادي الميليشيات المسلّحة في ليبيا وأخذت الثورة المضادة في اليمن اتجاهات مختلفة بل ومتعارضة وعاد رموز النظام القديم إلى الحكم في تونس بعد انتخابات مشكوك بنزاهتها وتعرف الثورة السوريّة مخاضا عسيرا ساهم تعارض المصالح الإقليمية وتقاطع الأجندات الدولية في تعميق أزمتها ما عطّل التحوّل وأجّل الحسم..

تمّ بحمد الله تعالى

الفهرس

المصادر والمراجع 82

المصادر والمراجع

-**أحمد بن سعادة** «أرابيسك أمريكية : الدور الأمريكي في الثورات العربية».

- **الطيب بيتي** "ربيع المغفّلين: النهالية الممنهجة للعرب في جيو-ستراتيجية حكومة العالم الجديد"مؤسسة شمس للنشر والإعلام بالقاهرة.

- **أنيك كوجان** «الطرائد: جرائم القذافي الجنسية» نسخة مترجمة صادرة عن منشورات 'المتوسطية' بتونس.

-**باسم خفاجي** «الشخصية الأمريكية وصناعة القرار السياسي الأمريكي»الطبعة العربية الأولى 2005 عن المركز العربي للدراسات الإنسانيّة.

- **برنارد هنري ليفي** «الحرب دون أن نحبّها: يوميات كاتب في قلب الربيع الليبي».

- **جيمس باتراس** «الثورة العربية والثورة المضادة أمريكيّة الصنع»

- **خليل مصطفى** «سقوط الجولان».

- **سامي الجندي** «أتحدّى وأتّهم».

- **شمعون بيريز** «الشرق الأوسط الكبير».

- **عبد القادر رزيق المخادمي** «مشروع الشرق الأوسط الكبير الحقائق والأهداف والتداعيات".

- **عدنان حسن باحارث** " الثورة الفرنسية: عرض ونقد في ضوء التربية الإسلامية " الطبعة: الأولى.-2012- مكتبة إحياء التراث الإسلامي.

- **فرنسيس فوكوياما** «نهاية التاريخ وخاتم البشر» ترجمة حسين أحمد أمين ،مركز الأهرام للترجمة والنشر.

- **لورانس فريدمان وجيفري مايكلز** «وصف قادة الشرق الأوسط.. تأثير تصورات القيادة على السياسة الخارجية الأمريكية والبريطانية».

- **لوران شميت** «حفل الأناءات».

- **محمد عاشور** «الثورة الليبية الأسباب والتداعيات ومسارات المستقبل».

- **مهدي المنجرة** «إهانة في عهد الميغاإمبرياليّة»2005 .

- مهدي المنجرة «قيمة القيم» 2007.

الصفحة الرسمية للكاتب على الفايسبوك:

الكاتب السياسي صابر النفزاوي



